خَواجات وحِكايات
في الصَّحْراء العربيَّـة

خَواجات وحِكايات
في الصَّحْراء العربيَّـة

قاسم بن خلف الرويس

Qindeel | قنديل

Khawajas and Stories in the Arabian Desert

Qasim bin Khalaf Al Ruwais

خواجـات وحكايات
في الصحراء العربية

قاسم بن خلف الرويس

© 2017 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: 33174310 تاريخ 2017/1/18

ISBN: 978 - 9948 - 495 - 80 - 2

قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص. ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© جميع الحقوق محفوظة للناشر 2017

الطبعة الأولى: كانون الثاني / يناير 2017 م – 1438 هـ

المحتويات

المقدمة 9

لماذا خواجات؟! 13

خيّال بولندي عند البدو 17

جين دغبي راعية الإبل الإنجليزية 23

عاشق البادية الإنجليزي 29

البريطاني دوغلاس يبحث عن الوضيحي 35

الألماني بريتسكه طبيب بدوي 41

الكونتيسة موليتور روسية في قلب البادية 45

الأمريكي زويمر ورحلات التنصير المتعرجة 51

بول هاريسون مع العرب في ديارهم 57

عميل فرنسي في الخليج العربي 63

الشايب الأحمر والذهب الأسود 67

مع فيلبي وجهات أربع 73

بلجريف في حائل 85

آندرو كرايتون وحياة العرب الاجتماعية 91

الألماني هيس يجمع أسماء البدو 97
آن بلنت أول امرأة أوروبية في ربوع نجد 103
البريطاني كامبل وحكايات من القبائل العربية 107
ألبرت سوسين صاحب أول ديوان مطبوع من وسط الجزيرة 111
الفرنسي شارل هوبر والشعر النبطي 117
المستر أبوحنيك: الوجه الآخر 123
حكاية التشيكي ألويس موزل مع الشعر والشعراء 127
مقتل الإنجليزي بالمر في الصحراء 133
الهولندي مارسيل كوربرشوك سفير البدو للعالم 137
الفهارس 151
المصادر والمراجع 179

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وسيد الناس أجمعين، محمد بن عبدالله، النبي العربي الأمين، الذي بعث رحمة للعالمين ونوراً في الخافقين. أما بعد

فإن للإنسان مع الكتاب قصصاً لا تنتهي من العشق السرمدي الذي قد يزداد مع الأيام تأثيراً فلا يقف على حدود القراءة الحرّة، أو المتعة المجردة، أو المعرفة المحدودة، بل ينتقل عبر مراحل ثقافية متتابعة إلى القراءة النوعية المتخصصة، والقراءة التحليلية الفاحصة، والقراءة المقارنة الناقدة.

وتتماهى القراءة عادة مع الكتابة؛ كثرة وقلة، وتسطحاً وعمقاً، فكلما ازدادت قراءات الإنسان وتعمقت زادت كتابته وتعمقت، والعكس بالعكس؛ فإذا كانت القراءة هي وقود الكتابة فإن الكتابة تجعل موقد القراءة مشتعلاً، وبشكل عام ما لم يقرأ الإنسان باستمرار فلن يكتب باستمرار.

وقصتي مع الكتاب لا تختلف عن سائر العشّاق، فعلاقتي به توطدت عبر السنين، وانتقلت من القراءات العامة إلى القراءات الخاصة، فسندتها الكتابة الصحفية بالتواصل، وعمّقها البحث والتأليف بالمنهجية، ورفدها التحكيم العلمي بالدقة،

ودفعتها المراجعات والمقارنات للتحري، وكلما ازدادت أحمال الكتب المقتناة ضاقت رفوف مكتبتي الصغيرة لتساهم غرف البيت الأخرى في حمل بعض الأثقال.

والحقيقة أني كنت وما زلت أرى أن القارئ الباحث عن المعرفة المتطلع للثقافة الذي يحاول مشاركة الآخرين في قراءاته من الكتب التي تقع في دائرة اهتمامه وتخصصه، فإنما يقوم بدور ثقافي تنويري في التعريف بهذه الكتب ولفت أنظار القراء والباحثين إليها؛ ولذا فقد حاولت تأدية هذا الدور من خلال كتابتي المستمرة عن العديد من الكتب، سواء في الصحافة أو من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أخيراً، وتسرني ردود الفعل الإيجابية التي أتلقاها حيال هذه الكتابات، مما يؤكد فائدتها في بث الوعي بالكتاب وقيمته الثقافية، وكم تلقيت من الاستفسارات التي تتساءل عن مكان بيع هذا الكتاب أو ذاك، أو طريقة الحصول عليه بعد النشر!

ومحتوى كتابي هذا هو في أصله نتيجة من نتائج القراءة فيما يستهويني من الكتب، ومن ضمنها كتب الرحالة والمستشرقين الأجانب إلى بلاد العرب عموماً وإلى الجزيرة العربية خصوصاً، أولئك المغامرين والمستكشفين الذين جاؤوا من تلك البلدان الباردة والأنهار الجارية ليخترقوا الصحراء العربية من أبوابها المفتوحة يحملون أرواحهم على أكفهم، بطموحات منشودة وغايات مقصودة، ولكل منهم هدف مختلف وطريقة مختلفة. ورغم أن جزءاً من الرحلات كانت ذات أجندة استخبارية استعمارية ولا شك، إلا أن روح العلم والاستكشاف جعلت من مدوناتهم سجلاً مرجعياً للدارسين والباحثين العرب بعد ذلك بعشرات السنين؛ لأنهم كانوا يكتبون كل ما يلاحظونه ويوثقونه بدقة، خاصة أن كثيراً منهم من المتخصصين ذوي الميول العلمية والأدبية، بل إن من هؤلاء الرحالة والمستشرقين من ليس له علاقة بالجوانب السياسية؛ إذ كان مدعوماً من جهات علمية محضة دعمت تطلعه للمغامرة لاستكشاف ديار العرب ودراسة مجتمعها، ومنهم من ساقته الظروف إلى الجزيرة العربية بطريقة أو بأخرى فكتب حكايته.

ولأن لكل رحالة حكايته الخاصة فقد جمعنا في هذا الكتاب اثنين وعشرين حكاية لتسعة عشر رجلاً وثلاث نساء ينتمون إلى بلدان أوروبية مختلفة من بولندا إلى هولندا

مروراً ببريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا ووصولاً إلى أمريكا. وابتداء من رحلة الكونت البولندي فاتسواف سيفيرين جفوسكي التي استغرقت عامين (1817م–1819م) والذي جاء في مهمة معلنة لشراء الخيل بينما كان لديه مهام أخرى غير معلنة، فإن القارئ سيقرأ حكايا تختلط فيها الرومانسية بالغرائبية، والمغامرة بالشغف، والكوميديا بالتراجيديا ، في شريط سينمائي طويل يدور على مدى يتجاوز قرناً من سنوات الزمان الماضي من تاريخ الجزيرة، ويقف على دعوص من رمال المكان الحاضر في جغرافيا الصحراء، وبين الزمان والمكان تتجلى صورة العرب في عيون الغرب.

سيجدها القارئ في حكاية جين دغبي العجيبة؛ تلك النبيلة الإنجليزية التي قدمت إلى الشرق في عام 1268هـ / 1852م لتقع في غرام أحد البدو وتتزوجه وتقضي بقية عمرها وتموت في الشرق، وفي حكاية البريطاني دوغلاس الباحث عن الوضيحي في صحراء النفود 1909م، وفي حكاية الكونتيسة موليتور التي كانت تخطط لاكتشاف صحراء (الربع الخالي) برحلة على منطاد تنطلق من جدة 1914م، وكذلك في حكاية الألماني بريتسكه الذي أصبح طبيباً بدوياً ولم يستطع العودة إلى بلاده طيلة ثمان سنوات ابتداء من 1944م. وبغض الطرف عما يراه بعض المهتمين من تضمن بعض مدونات الرحالة والمستشرقين من أخطاء في المعلومات، أو سوء في التفسير، أو ميل إلى التحامل، أو نزعة إلى الكراهية، فإنها من المصادر المهمة التي لا يستغني عنها الدارس لتاريخنا ومجتمعنا لتوثيقها لأحداث ورصدها لأخبار وتصويرها لمشاهدات وشخصيات قد لا نجدها في غيرها من المصادر.

والحقيقة أنني لا أقدم هذا الكتاب مؤلفاً بل قارئاً، حيث يغلب عليه التعريف بالكتب وبمؤلفيها، وبيان مضامينها بشكل عام غير مفصل، والتناول لبعض الجوانب اللافتة بإيجاز، والربط المعرفي المجمل بجوانب الثقافة الأخرى والأحداث الجارية، ولم يخل من تدوين ملاحظات مهمة على بعض الكتب ولكن دون توسع، وقد حرصت على جمع هذه المادة بين دفتي كتاب بهدف التوثيق وحفظاً للجهد

المبذول قراءة وكتابة، وخوفاً من ضياعها أو تشتتها، ليبقى أشبه ما يكون بالرف لعرض هذه الكتب عبر الزمن.

وختاماً؛ لعل القارئ الكريم يجد في هذا الكتاب ما يفيده عن تلك الكتب، وكلي آذان صاغية لأي ملاحظة أو استدراك؛ لأن الخطأ والسهو سمة كل عمل بشري. والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات.

المؤلـــف

الأربعاء 25 رمضان 1435هـ/ 2 يوليو 2014م

لماذا خواجات؟!

ولعل القارئ الكريم حين يقرأ عنوان الكتاب يتساءل: ما معنى خواجات؟ ومن المقصود به؟ ومتى أصبح الخواجات خواجات؟

فكان لا بد من كتابة لمحة عن هذا المصطلح لغوياً وتاريخياً؛ لأنه من المصطلحات الشعبية الدارجة على ألسنة الناس في العالم العربي؛ سواء في الجزيرة العربية أو مصر أو الشام؛ مصطلح (الخواجات) الذي يستخدم للتعبير عن غير المسلمين، ومن ذلك تسمية (طريق الخواجات) للطريق الذي يتجه إلى جدة دون المرور بمكة المكرمة؛ لأن غير المسلمين يسلكونه عادة، ومن ذلك تسمية مقبرة غير المسلمين في جدة بـ (مقبرة الخواجات). ويظهر أن هذا اللفظ أو المصطلح الوصفي، كما ذكر الشيخ العبودي في معجم الكلمات الدخيلة، لم يكن معروفاً في بلادنا؛ لأن هؤلاء الأجانب لم يكونوا يأتون إلى بلادنا إلا ما ندر، في حين وُجدوا بكثافة في منطقتنا بعد اكتشاف النفط واضطلاع الشركات الأجنبية بأعماله، وكان الناس يسمونهم في البداية «النصارى/ النصراني» ومن ذلك قول الشاعر:

سلط على (النصراني) اللي لقا الزيت لعل نبع الزيت يعمي عيونه

لولاه تحتاج المراجل شفاليت تحتاج شي يقصر النذل دونه

أو «المريكان/ المريكاني» كما قالت الشاعرة:

يـا ونتـي يـوم محمـد بالخـبر جـاني الحـر بالكبـد ودمـع العـين غاطيهـا
تشـعل بقلبـي كـما ضـو (المريـكاني) دب الدهـر والعـة محـدن يطفيهـا

وأيضاً كانوا يسمونهم «الأنقريز» أو «القريز/ القريزي» كما قال الشاعر:

يـوم ربي نصرهـم زيّـن أبصـاره عقّـل الجيـش وجوهـم صـف رجليّـة
يـوم ثـار الثميـدي هـدم جـداره كـن ذبـح (القريـزي) ذبـح هكريـة

ومنهم من كان يسميهم «الروم» كما قال الشاعر في وصف السيارة:

صنّاعتـه مخطـين.... ملّـة إبراهيـم حمـران (رومٍ) لونهـم مثـل لونـه

ثم انتقلوا للتعبير عنهم بمصطلح «الخواجات» الذي ما زال مستخدماً إلى اليوم، كما يظهر في قول الشاعر طراد بن فرحان العنزي:

يـا راكـب الـلي بالسـما تقـل شـيهان سـواقها يعـرف جميـع المسـارات
فـوق السـما مـا بنـشرت بعـض الأحيـان مـن نـوع جمـس وصانعينـه (خواجـات)

وقول سعد بن جدلان الأكلبي:

يـا راكـب الـلي صمّمتـه الولايـات الـلي أمريـكا فالمصانـع تصبّـه
تصميـم شركـة (كلهـان) الخواجـات مـوردّه مـن(نيويـورك) ونـصبّـه

والخواجات بمعنى أكثر تحديداً يراد بهم ـ كما أشار العبودي ـ الأوربيون والأمريكيون ونحوهم من البيض، وهو يرى أن لفظ (الخواجات) وفد مع ما وفد به إخواننا المصريون من معلمين وغيرهم؛ فهم يسمونهم في مصر بالخواجات.

والحقيقة أن مصطلح (الخواجة) بالفعل كان منتشراً في بعض الدول العربية قبل انتشاره في شبه الجزيرة العربية بسنوات طويلة بحكم وجود الأجانب هناك واتصالهم المستمر بالناس لأسباب سياسية واقتصادية، في حين يشير أحمد أمين في (قاموس

العادات والتقاليد والتعابير المصرية) أن الخواجة في لسان المصريين هو أوربي يلبس بدلة وبرنيطة، سواء كان رومياً أو إيطالياً أو إنجليزياً أو غير ذلك، وهو يحترم في مصر ويخاف منه ويعتقد فيه العلم والأمانة أكثر من المواطنين وخصوصاً في الزمن الماضي، فإذا قدم طبيب وكان خواجة اعتقد أنه طبيب أمهر من الأطباء المصريين مهما كانت شهادته وضيعة، وإذا كان تاجر يوناني ببرنيطة استطاع أن يشتري من الفلاحين قطنهم أكثر مما يستطيع التاجر المصري مهما غشهم وخدعهم. وإذا وعد المصريَّ الخواجةُ اعتقد أنه يفي بوعده أكثر مما يفي المصري، وكم ضحك الأوربي على ذقن المصري لا لشيء إلا لأنه خواجة!

ولفظة خواجه لفظ فارسي دخيل على اللغة الدارجة وينطق بالفارسية خْواجَه بإسكان الخاء وفتح الجيم ومعناه السيد. وقيل: كانت في الأصل تطلق على تجار العجم، كما جاء في صبح الأعشى: «الخواجا من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم». ثم أصبحت تطلق على الأعيان والتجار، ثم اقتصر استعمالها على كل أجنبي. وفي اللغة الفارسية تأتي بمعنى: شيخ، رئيس، معلم مدرسة ، أستاذ وما شابهها. ويرى العبودي أن التسمية تطورت فصارت عندنا الآن للأجانب من غير المسلمين، أما بالمعنى الأول الذي يعني كبار التجار فإنها لا تزال مستعملة لكبار المسيحيين في لبنان.

بينما يشير عبد اللطيف فاخوري في مقال بعنوان (الخواجا والأفندي) نشره في جريدة اللواء اللبنانية يوم الثلاثاء (5 آذار/ مارس 2013 الموافق 23 ربيع الآخر 1434هـ) أنه من المتفق عليه بين المحققين أن الخواجا أو الخواجه لقب فارسي بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد. وجد في نقوش تعود إلى سنتي 557 و559 هـ، وأن اللقب استعمل في عصر المماليك ضمن ألقاب التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم كما ذكر المقريزي والقلقشندي، وقد حمل لقب الخواجا عدد كثير من الأعلام والتجار من المسلمين في الشام ومصر، وقد ترجم نجم الدين الغزي (1570–1651م) في كتابه الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة وفي كتابه لطف السمر وقطف الثمر من أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر لعدد غير قليل من الملقبين بهذا اللقب، وينقل

الفاخوري عن أنطوان قيقانو محقق تاريخ سليمان باشا العادل (1804– 1819 م) الذي وضعه المعلم إبراهيم العورة، أن الرتب العالية في السلطنة العثمانية قبل سنة 1832م كانت أربع درجات؛ الرابعة منها رتبة الخواجا، وكانت تطلق على الفقهاء والكتاب وأرباب الأقلام، وأشار إلى نص ورد في تاريخ الجبرتي جاء فيه: «تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ولبس الخلعة وركب وشق المدينة وأمامه ميزان». أما بيروت فقد حمل الكثير من أبنائها لقب الخواجا. كما أكد عثوره على وثائق في سجلات محكمة بيروت الشرعية تثبت إطلاقه على أعيان من المسلمين منذ سنة 1843م. وهو ما يدل على أن لقب خواجا لم يكن مقتصراً على غير المسلمين، بل إن هناك من المسلمين من تلقب بهذا اللقب أيضاً.

ولكن الفاخوري يرجح بعد ذلك على ضوء ما وقف عليه من وثائق ومراجع أن لقب الخواجا انحصر استعماله منذ أواخر القرن التاسع عشر في وصف النصارى العثمانيين والأجانب، ويعتقد أن استعمال هذا الوصف كان من باب التكريم باعتبار أن معنى اللفظ: السيد. وبالتالي فلم يكن استعماله وقفاً على الوجهاء والبارزين.

وبهذا يتأكد القارئ أن مصطلح خواجات في عنوان هذا الكتاب ليس فيه أي رمزية للتقليل من شأن الرحالة والمستشرقين بقدر ما هو مصطلح دارج على ألسنة الناس، ووصف عام متفق عليه في بلدان العرب، ويطلق على أولئك دون تفريق بين جنسياتهم، رأينا من المناسب الاستفادة من دلالته السائدة وتوظيفها في عنوان الكتاب.

خيّال بولندي عند البدو

تعتبر قصة حياة الكونت البولندي (فاتسواف سيفيرين جفوسكي) من القصص المثيرة التي يمكن أن تتحول بسهولة إلى فيلم سينمائي طويل وممتع، فهذا الأرستقراطي ولد في عائلة عريقة غنية، كانت تملك في عام 1784م عشر مدن ومائة وست عشرة قرية وثلاثين ألف حقل، وكان من الموهوبين في اللغات حيث أتقن مبكراً جداً الألمانية والروسية إضافة إلى البولندية والفرنسية، كما تعلم بسرعة فائقة التركية والعربية، وتعلم أيضاً فن الخط العربي، ثم تعمّقت معرفته بالعربية في النمسا ، وأولع بالدراسات الشرقية ليرتبط بعد ذلك مع أحد ألمع المستشرقين الألمان وهو بورغشتال فيؤسس معه ومع كلابروت في 1809م أول مجلة استشراقية أوروبية، تلك المجلة التي واصلت الصدور حتى رحيله إلى الشرق في آخر سنة 1817م.

وإضافة إلى ما ذكرنا من روابط ربطته بالشرق فإن للخيل العربية دورها في تطلعه إلى الارتحال إلى الصحراء العربية لدرجة حصوله على أزياء بدوية قبل رحلته بسنوات، فقد كانت عائلته ذات سمعة راسخة في تربية الخيول، حيث كانت تملك 60 فرساً وأكثر من 100 مهرة.

سنحت فرصة مواتية عرض خلالها جفوسكي شخصياً على قيصر روسيا ألكساندر الأول وعلى الملكة كاترين دو فورتمبرغ مشروع رحلة إلى شبه الجزيرة العربية من أجل تحسين إنتاج الخيول العسكرية في أوروبا، فحظي بثقتهما باعتبار أنه من النبلاء

ومن طبقة عريقة، كما أنه ضابط خيّال قديم وصاحب مربط معروف للخيول، وفضلاً عن ذلك متخصص بالشرق؛ فاستغرق الإعداد للرحلة سنتين وضمّ فريقه 15 شخصاً. انطلق الركب من بودولي في نهاية 1817م إلى القسطنطينية ومنها على متن سفينة روسية إلى سوريا، بعد مرور سنة على وصوله نجح جفوسكي في الحصول على 13 حصاناً من الفحول و14 فرساً لصالح ملكة فورتمبرغ. وكانت قاعدته الرئيسة في السنة الأولى للرحلة في دمشق، ولكن في السنة الثانية من رحلته نقل قاعدته إلى حلب، ونظراً لتكاليف الرحلة المستمرة فإن المال سرعان ما ينفد منه، ولذا فإن المشكلات المالية لا تنتهي طيلة رحلته الطويلة، ولكي يقوم بعمليات شراء الخيل عاش جفوسكي بين بدو الصحراء في مرابعهم ونالوا إعجابه كما نال إعجابهم، ولقّبوه (الأمير) و(تاج الفخر) و(عبد النيشان). وذكر جفوسكي أنه سلك الطريق من حلب إلى تدمر عبر الصحراء ولم يسبقه في هذا الطريق إلا الرحالة بوركهات أو (الشيخ إبراهيم) كما كان يسمّى، واستطاع جفوسكي في نهاية رحلته التي استغرقت عامين (1817ـ1819م) إخراج 137 رأساً من الخيل من رمال الصحراء إلى جليد روسيا، ولم يكتف بالخيل بل جلب بعض الآثار والتحف والمخطوطات أيضاً.

عانى جفوسكي في نهاية حياته من الديون، ولكنه على الرغم من كل الصعوبات التي واجهها ظل محتفظاً بخيوله العربية إلى آخر لحظة من حياته، وعندما أعلن العصيان في بولندا سنة 1830م كان جفوسكي في طليعة الخيّالة المحاربين للقوات العسكرية الروسية، حيث قتل في إحدى المواجهات 1831م. ولحسن الحظ فحين استولت القوات الروسية على مكتبته بعد ذلك كانت مخطوطة رحلاته إلى الشرق عند أحد أصدقائه، حيث عثر عليها بعد سنوات طويلة؛ تلك المخطوطة التي كتبها باللغة الفرنسية وزوّدها برسوم وتخطيطات عديدة، وتحدث فيها عن الخيول العربية بإسهاب، ووضّح فيها الثقافة البدوية لخيّالة نجد، ورسم صورة المجتمع في شبه الجزيرة العربية، وحكى فيها مغامرات لا تهدأ كثافتها الدرامية، كما أدرج فيها رسائل متبادلة مع الليدي ستانهوب.

وقد قامت الدكتورة هناء صبحي بترجمة كتاب جفوسكي (انطباعات عن

الشرق وشبه الجزيرة) ونشر أخيراً عن طريق مشروع كلمة في أبوظبي استناداً إلى المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية البولندية، وجاء في 26 فصلاً وملحقاً بمحتويات مكتبة جفوسكي مستغرقاً 759 صفحة. وقد تناولت تسعة من فصول الكتاب الخيل وسلالاتها وروايات البدو حولها وطرق تربيتها وأرسان خيول نجد وتصنيفها، وغير ذلك من شؤون الخيل. في حين تطرق في فصول الكتاب الأولى إلى الحديث عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية للجزيرة العربية والشام في تلك الفترة التاريخية المضطربة، ولذا فلهذه الرحلة أهمية خاصة لتزامنها مع أحداث تاريخية بارزة مثل حملة محمد علي على الدولة السعودية وسقوط الدرعية 1818م، وكذلك ثورة حلب 1819 م التي شهدها في المدينة أثناء وجوده فيها، وغير ذلك من الأحداث. وقد تساءل أحد الباحثين عندما لاحظ قيام جفوسكي بإحصاء 178 فخذاً لإحدى القبائل وإيراد أسماء 47 شيخاً من شيوخها قائلاً: لصالح من كان الرحالة البولندي يحصي هذه القبائل؟!

جين دغبي راعية الإبل الإنجليزية

يـــا ونتـــي ونـــة دوالـــب عجـــاجه يلعـــب بهـــا ســـكر الهـــوى فـــوق مزعـــاج

يـــا عـــين ريـــمٍ جـــافله مـــن زراجـــه ومجفلـــوا ريـــم العطـــاطيب بنـــواج

ذكر الشاعر السوري محمود الذخيرة أن البيتين السابقين من نظم إحدى النساء الغربيات اللاتي هاجرن إلى المشرق؛ فلقد شكلت زيارة الشرق هاجساً للأوروبيين في القرون الأخيرة من الرحالة والعلماء والمهتمين على اختلاف دوافعهم، وكان النشاط الاستشراقي في البداية مقصوراً على الرجال حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً إذا ما استثنينا الليدي فورتلي مونتاغو (1689ـ1762م) التي كان زوجها سفيراً لبريطانيا لدى الدولة العثمانية.

فقد جذب سحر الشرق النساء كما جذب الرجال، فتتابعت رحلات الأوروبيات للشرق ودافعها الأبرز المغامرة واكتشاف الجديد، خاصة إذا علمنا أن صورة الشرق في أوروبا في تلك الفترة رغم عدم وضوحها إلا أنها لم تكن جميلة على أية حال.

فسارت قافلة نساء الغرب من الليدي هستر ستانهوب إلى فرايا ستارك مروراً بإيزابيل بيرتون وآن بلنت وجيرترد بل وأجاثا كريستي وغيرهن، ولكن الذي يلفت الأنظار هو أن بعض هؤلاء النساء بعد قدومهن إلى الشرق آثرن الإقامة والاستقرار على العودة إلى ديارهن، وفضلن الشمس الحارقة والصحراء القاحلة على خضرة أوروبا وجمال أنهارها.

ومنهن الليدي جين دغبي (1222هـ / 1807م - 1298هـ / 1881م) التي ينسب إليها بيتا الشعر اللذين صدرنا بهما موضوعنا هذا. كانت تلك المرأة تنتمي لعائلة إنكليزية عريقة من نورفولك وكان جدها إيرل بريستول، إضافة إلى ذلك اتصفت بالجمال والذكاء والثقافة وامتلكت المال والثروة، ولذا كانت جين امرأة لافتة واستثنائية، فخطب ودها نبلاء أوروبا ومثقفوها وتزوجت في وقت مبكر من عمرها اللورد ألنبرة الذي يكبرها بعشرين عاماً، وذلك في سنة 1824م، وما لبثت أن طلقت منه لما تسلم وزارة العدل في عام 1830م. وتعدد عشاقها بعد ذلك فتعددت زيجاتها، وقد أقامت فترة في باريس وكان يرتاد صالونها أدباء أوروبا ومثقفوها، وقد كتب عنها بلزاك روايته (زنبقة الوادي)، كما كتبت عنها أديبة الشام ألفة الأدلبي كتابها (المنوليا في دمشق وأحاديث أخرى)، كما وثقت سيرتها في كتاب باللغة الإنجليزية، وعرض قبل سنوات مسلسل تلفزيوني اسمه (سحر الشرق) يتناول قصة هذه المرأة.

لقد اجتذبها سحر الشرق في منتصف عمرها فكانت مسافرة جريئة قامت برحلة إلى سورية عام 1268هـ / 1852م في وقت كانت عشيرة المصرب مسيطرة على طريق البادية من حمص ودمشق إلى تدمر التي كانت مقصداً للسياح الأجانب، إذ تتكفل هذه العشيرة بإيصالهم وإرجاعهم بأمان بمقابل مادي، فرافقها في رحلتها الشيخ (مجول المصرب) بقافلة من الفرسان، وفي الطريق وعند وصول القافلة إلى موقع يسمّى وادي المنصف قرب بلدة أرك داهم القافلة غَزْوٌ من العربان فخافت السيدة خوفاً شديداً وأخذت بالصراخ والاستغاثة، طمأن مجول النبيلة الإنجليزية وأخبرها أنها في مأمن مادام هو في ركابها، ودهشت لما أبداه من ضروب الشجاعة والفروسية في ردّ الغزو فوق ما ازدان به من جمال الهيئة وحُسن الفتوّة، وبدأت قصة حب بينهما فتزوجا رغم أنه يصغرها بسنين؛ فقد كان شاباً فتياً بينما كانت جين في الخامسة والأربعين من عمرها.

أقامت جين دغبي مع زوجها في نواحي البادية في صحراء تدمر فترة من الزمن امتدت إلى خمس عشرة سنة عاشت خلالها حياة ربما كانت تتوق إليها عوضاً عن حياة القصور الفارهة في أوروبا التي لم تشعرها بالسعادة، لقد وجدت سعادتها بين العرب

في احترام زوجها وطاعته وفي ارتداء الثياب البدوية وفي المشي حافية القدمين وفي حلب الناقة وجلب الحطب وخض الحليب، وقضت وقتها في مداواة المرضى والعناية بالخيل وإرشاد النساء، فحازت إعجاب البدو، ولكن كان أشد ما لفت أنظارهم إليها جمالها وبياض بشرتها حتى سموها (أم اللبن) ثم (الموضي)، ولم تقم هذه (الموضي) خلال هذه الفترة بزيارة بلدها إلا مرة واحدة عام 1856م ولم تكررها إلى وفاتها.

والحقيقة أن السيدة دغبي بصفة عامة عاشت حياة البادية كأهلها ملتزمة بعادات وتقاليد الصحراء، حتى إنها كانت تمتلك رعية من الإبل يقدر عددها بـ 250 رأساً يقوم عليها مجموعة من الرعاة في بادية الشام، وكانت كسائر البدو تضع وسماً خاصاً يميز إبلها كما أشارت تقارير قنصل الإنجليز في دمشق في 9 آذار 1861م، ولكن إبلها تعرضت إلى غزو من إحدى القبائل فنهبوها فقامت السيدة بالشكوى للوالي العثماني في الشام مطالبة الدولة بالتعويض بثمن الإبل الذي يقدر بـمئتين وخمسين ألف قرش لأنها المسؤولة عن الحماية، فيقوم الوالي بإرسال الجند لمهاجمة تلك القبيلة واستعادة بعض إبل السيدة التي تحمل وسمها.

ولكن هذه السيدة بعد وصولها إلى خريف العمر رغبت الإقامة في دمشق إلا أن مجْولاً أقنعها بالسكن في حمص معتذراً عن دمشق نظراً لوجود خلاف بين عشيرته وبين قبائل الشام فوافقت، فابتاعا في حمص داراً وسكنا فيها سنة واحدة، ثم رغبت بالسكن خارج المدينة، فعملا على شراء بستان خارج السور كان مزروعاً بأشجار المشمش والرمّان والتين والعنب مع بركَة ماء ودولاب هوائي لسحب المياه من البئر وبنيا فيه منزلاً كبيراً عُرِفَ (بقصر مِجْوِل). أقام مِجْوِل وزوجته ثلاث سنوات في حمص (1867– 1869م) ثم انتقلا إلى دمشق وابتاعت فيها منزلاً و بستاناً جميلاً، وهو المنزل الذي زارتها فيه الليدي آن بلنت عام 1879م، وكانت تقضي فصل الصيف في هذا المنزل، في حين لم تنقطع عن البادية في الأوقات الأخرى. وبقيت جين دغبي مخلصة لزوجها مدة زواجها به التي شارفت على الثلاثين عاماً لم تراسل خلالها أحداً من أهلها سوى شقيقها؛ وتوفيت إثر إصابتها بمرض الكوليرا في 11 آب 1881م ودفنت في مقبرة البروتستانت في دمشق، وكتب على قبرها بالعربية : (مَدام دغبي المصرب) وعاش مِجْوِل بعدها ست سنوات حيث توفي سنة 1887م.

بعد هذه النبذة عن حياة هذه المرأة يتجدد السؤال: هل كانت الليدي جين دغبي شاعرة حقاً؟!

هذا ما يؤكده الشاعر محمود الذخيرة، الذي نشر موضوعاً قبل سنوات في إحدى المجلات نوه فيه إلى المرأة الأوروبية ومشاركتها في كتابة القصيدة النبطية التي عدها من أصعب أنواع الشعر الشعبي وصل فيه إلى أن جين دغبي قد قرضت الشعر ونظمت القصيدة النبطية، وللأسف أن معظم شعرها قد ضاع أو ربما نسب إلى غيرها، والحقيقة أن جين دغبي كانت تملك من القدرة والموهبة والثقافة الشيء الكثير، كما يظهر في مذكراتها ورسائلها أنها أديبة ولها أشعار بلغتها الأم، وهي تتقن عدداً من اللغات من بينها اللغة العربية، كما أنها كانت فنانة تشكيلية رسمت الكثير من اللوحات الجميلة لحياة الصحراء، وقد شاهدت بعضها آن بلنت عندما زارتها في دمشق، فإذا أضفنا إلى كل ذلك تأثرها بالبيئة البدوية وإعجابها بها فلا يستبعد أن تنظم شيئاً من الشعر بلغة أخرى خاصة إذا علمنا أنها ليست الوحيدة التي ذكر أنها نظمت الشعر باللغة العربية؛ فهناك غيرها، ولكن يظل احتمال أن تكون الأشعار المنسوبة إليها منحولة وارداً بشكل كبير. وأخيراً فإن الشاعر محمود الذخيرة قد جارى بيتي السيدة (موضي) ببيتين، ويلحظ غلبة لهجة بادية الشام على كليهما:

يـــا جـــين دغبـــي ياهنـــوف الحـــماده اســـموك مـــوضي البـــين حـــير وهـــداج

ياطيـــب قولـــك والقـــوافي تهـــاده تطـــرب لهـــا الأرواح والقلـــب يفتـــاج

* من مصادر المعلومات:

1ـ رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية؛ آن بلنت، ترجمة أحمد أيبش.
2 ـ الخيل العربية في مذكرات السياح والرحالة، أسعد الفارس.
3 ـ أجنبيات في سوريا للمغامرة أم للتجسس، سمير عبده.
4 ـ المنوليا في دمشق وأحاديث أخرى، ألفة عمر باشا الإدلبي.
5 ـ الزنبقة في الوادي، هونوري دو بلزاك، ترجمة ميشال خوري.
6 ـ البدو والبادية، جبرائيل سليمان جبور.
7 ـ عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا.
8 ـ عرب الصحراء، ديكسون.
9 ـ سيرة جين دغبي، ماري .س.وفل.
10ـ جريدة الفرات السورية .

عاشق البادية الإنجليزي

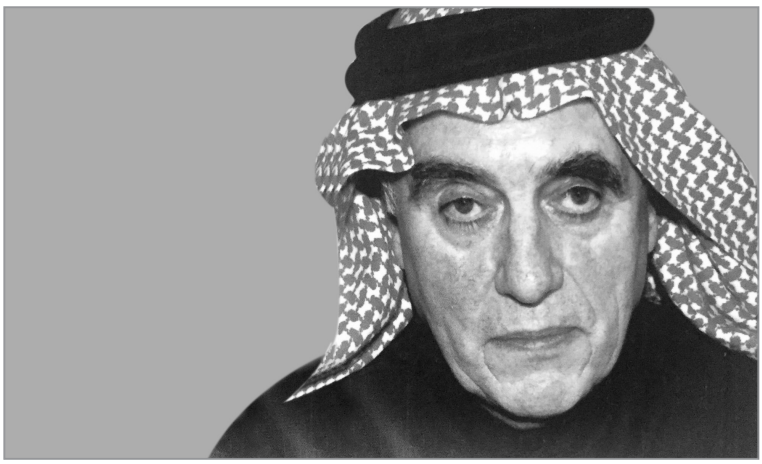

يعتبر بروس إنغام أستاذ اللغويات في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن أحد المستشرقين الإنجليز المعاصرين الذين عنوا بلهجات القبائل العربية عناية خاصة فعاش مع البدو الرحّل؛ يتجوّل معهم في الصحراء، ويلبس الملابس العربية، ويشرب حليب الإبل ، ويتسامر معهم ويستمع إلى حكاياتهم بإنصات، ويردد معهم الشعر النبطي، ويدوّن الألفاظ البدوية من أفواه كبار السن، ويسجل القصائد والسوالف، ويقارن بين اللهجات.

وقد قام المترجم السعودي عطية بن كريم الظفيري بإعداد كتاب عن هذا المستشرق الذي يحب أن يسمي نفسه (أبوحسين الظفيري). والمفارقة في هذا الكتاب الذي جاء تحت عنوان (عاشق البادية الإنجليزي) هو أن يأتي أحد أبناء البادية ويؤلف كتاباً عن مستشرق أوروبي ويهديه إليه بمناسبة بلوغه سن السبعين بعد سنين طويلة كان هذا المستشرق هو الذي يؤلف فيها عن البادية وأهلها ويدرس حياتها ولهجاتها!

يشير الكتاب إلى تنقل إنغام الذي يجيد العربية والفارسية إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية واللاتينية ولغة لاكوتا ـ لغة بعض الهنود الحمرـ وشيئاً من الألمانية والتركية والنرويجية بين السعودية، والكويت ، وقطر، والعراق ، وإيران، وأفغانستان، والولايات المتحدة الأمريكية، وكان هاجسه الوحيد توثيق وحفظ اللهجات المعرضة للانقراض، ومما يدل على اهتمامه العلمي أنه عندما نما إلى علمه وجود مجموعات

بشرية خارج الوطن العربي تتحدث العربية سعى إلى الوصول إليها، حيث ذهب إلى أفغانستان وزار محافظة (بلخ) قرب مدينة مزار شريف، وهناك وجد أربع قرى يتحدث أهلها العربية، وحسب رواياتهم التقليدية ذكروا له أنهم قدموا من اليمن في زمن تيمورلنك.

إنغام يتحدث العربية باللهجة البدوية النجدية التي يضفي بها جواً من المرح والفكاهة تجعلك عندما تستمع إليه تعجب من قدرات وإمكانات هذا (الخواجة) على استيعاب اللغة وتمكنه من حفظ عدد كبير من قصائد الشعر النبطي مع السرد القصصي لمناسباتها وفهمه لألفاظها ومدلولاتها، وله مقاطع مصورة متوفرة على مواقع الإنترنت يمكن للقراء مشاهدتها والحكم عليها، ومن القصائد التي سجلت بإلقائه على سبيل المثال قصيدة عبدالله بن رشيد:

ارم النعـــول لمغـــزل العـــين يـــا حســـين واقطـــع لهـــا مـــن ردن ثوبـــك ليانـــة

وقصيدة حمود بن سويط:

البارحـــة كل أول الليـــل أقـــول آه مـــن علـــةٍ باقـــي المـــلا مـــا درى له

وقصيدة عبدالله القريفة:

يـــا جماعـــة كيـــف مـــا فيكـــم حميّـــا كيـــف صيّـــاح الضحى مـــا تســـمعونه

وكما يظهر لنا أن هذا المستشرق صاحب هدف علمي خدم من خلاله اللغة العربية ولهجاتها وتراثها الشفاهي وأجناسها الأدبية فكتب أبحاثاً أكاديمية محكّمة نشرت على مستوى العالم ومنها ما كتبه عن السالفة كجنس أدبي ، وعن لهجة مطير، ولهجة قبيلة الظفير، ولهجة آل مرة، ولهجة قبيلة الرولة، ولهجة آل مرّة، وقارن بين لهجات شمّر وعنزة والظفير وأهل القصيم وأهل سدير ، وأصدر كتاباً عن قبيلة الظفير وكتاباً عن اللهجة النجدية وكتاباً آخر عن قبيلة عنزة.

وقد جاء كتاب عطية الظفيري الصادر في 2013م عن مكتبة آفاق الكويتية في 160 صفحة على خمسة فصول: الأول تضمن الحوارات التي أجراها مع إنغام في أزمنة

وأمكنة مختلفة، والثاني تضمن الفصل الأول من كتابه لهجة أهل نجد، والفصل الثالث تضمن محاضرة لإنغام عن اللغة العربية واللهجات في منطقة الخليج والجزيرة العربية، والرابع تضمن بحثاً عنوانه: (أسلوب السالفة وفن سردها)، أما الفصل الخامس فكان معجماً لبعض المفردات والتعابير الاصطلاحية النجدية. وبينما نذكر أن عطية الظفيري سبق له ترجمة كتاب إنغام (قبيلة الظفير) قبل سنوات فإننا ننتظر ترجمته لكتابه الآخر (لهجة أهل نجد) كما وعد القراء، مقدرين له اهتمامه بهذه الشخصية.

البريطاني دوغلاس يبحث عن الوضيحي

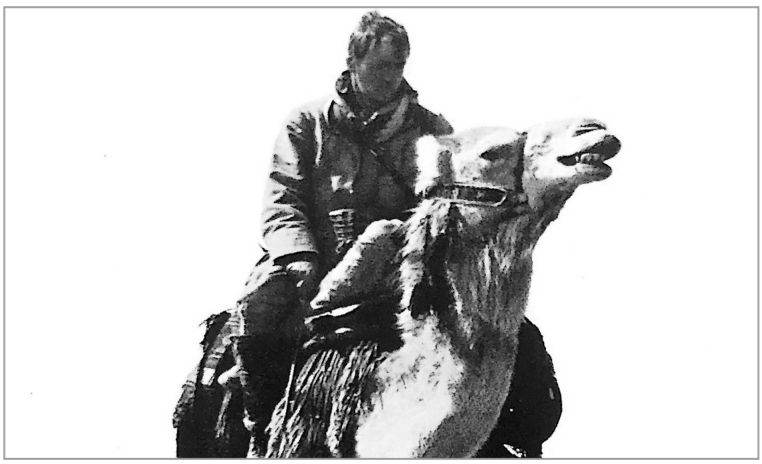

اطلعت على كتاب ممتع وشيّق عنوانه: (مغامرة في جزيرة العرب: عبر صحراء النفود، بحثاً عن الوضيحي) هذا الكتاب يروي وقائع رحلة استكشافية جريئة في صحراء النفود بشمالي جزيرة العرب، لمغامر بريطاني ربما لم يسمع به كثير من مثقفينا وباحثينا هو دوغلاس كاروثرز؛ وذلك لعدم نقل نص كتاب رحلته إلى العربية منذ نشر قبل حوالي ثمانين عاماً (1935م). وعلى الرغم من ندرة وجود هذا الكتاب بعد مرور كل هذه السنوات على نشره إلا إن الدكتور أحمد إيبش قد ظفر بنسخة منه في أميركا وقام بترجمته ونشر ضمن سلسلة رواد المشرق العربي التي تصدرها هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة عام 2012م/ 1433هـ.

لقد تم تجنيد دوغلاس خلال الحرب العالمية الأولى ليقوم بتجميع خرائط الشرق الأوسط، ثم تركّز عمله لاحقاً على رسم الخرائط والعمل إلى جانب المستكشفين والرحالة، وقد عيّن زميلاً في الجمعية الجغرافية الملكية ما بين 1909ـ 1962م وخدم فيها كأمين سرّ شرف ما بين أعوام 1916ـ 1921م، كما ألّف عدة كتب وجمع عدداً من النماذج الطبيعية ما زال بعضها إلى اليوم الوحيد من نوعه في المتحف البريطاني، كما نال عدداً من الجوائز والميداليات، وقد آلت أوراقه وكتاباته بعد وفاته إلى الجمعية الجغرافية الملكية بلندن.

قام دوغلاس بمغامرته في مفاوز النفود بحثاً عن (الوضيحي) أو (المها العربي)

منطلقاً من دمشق في عام 1909م معتمداً على العزيمة والإصرار في مواجهة الأخطار والمصاعب، خاصة أنه يقدّم نفسه كعالم طبيعة، وقد حاول في كتابه تأكيد قول الرحالة (داوتي) بأن قفار شبه الجزيرة العربية غنية في تنوعها، كما أراد البرهنة على أن رحلة في صحراء العرب تعادل من حيث إثارتها أي رحلة أخرى؛ فقد مرّ في رحلته بمعان ومنها إلى تبوك ثم إلى تيماء ومنها إلى النفود وحتى سهول بسيطا، متتبعاً آثار الطريدة التي يرى أنها نجحت في الإفلات من براثن الأسر في حدائق أوروبا حتى تاريخ رحلته، ليعود مكتشفاً وجود المها العربي في شمال الجزيرة العربية بأعداد غير قليلة بعد أن اصطاد أربعة منها كانت كافية لتسجيل معلومات وقياسات وافية عن هذا الحيوان، ثم سلخ جلودها ونظفها واحتفظ بها لأهداف علمية، فكان يعتبر صيده هذا من الوضيحي أعظم جائزة وهذه الجلود أغلى من الذهب.

والحقيقة أن هذا الرحالة – الذي لقب نفسه بـ(الشراري) ربما لأن مرافقيه كانوا من قبيلة الشرارات – عمل على التأريخ للحياة الفطرية في تلك النواحي، وأكد وجود الوضيحي في منطقة النفود في تلك الفترة، كما أشار إلى وجودها في الربع الخالي أيضاً ملمحاً إلى أن فيلبي أخبره باصطياد بعضها من قبل أفراد من جيش الملك عبدالعزيز أثناء عودتهم من الحرب اليمنية سنة 1934م.

كما أشار دوغلاس إلى مشاهدته للنعام وتحدث عن وجودها في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وعرّج على إشارات الرحالة المستشرقين إلى هذا الطائر الذي لا يطير، حيث جُلب رألان صغيران لـ(شكسبير) شرق الجوف سنة 1914م، كما تم تقديم جلد نعام وبيضتيه إلى (المس بل) في الطبيق، وتناول (ليتشمان) بيض نعام طازجاً غرب كربلاء بـ100كم، وأحضرت بيضتان إلى (لورنس) في سهل بسيطا، ورأى فيلبي آثارها في وادي السرحان، وفي سنة 1922م قدّم الملك عبدالعزيز زوجاً من النعام هدية إلى (السير برسي كوكس) المفوّض السامي البريطاني في بغداد.

يظهر في هذا الكتاب قدرة المؤلف على التتبع التاريخي لمسار ووجود الوضيحي والنعام في شمال الجزيرة العربية من خلال ما كتبه الرحالة السابقون، كما كتب بتفصيل

يهم الباحثين عن حجر تيماء أو مسلة تيماء وملابسات اكتشافه بين الفرنسي هوبير والألماني أويتنغ، ومدى علاقة سنوك هورخرونيه بالأمر وهو من الموضوعات التي يكثر الخوض فيها بينما لا يزال حجر تيماء في متحف اللوفر في باريس.

الألماني بريتسكه طبيب بدوي!

الطبيب البدوي الذي سنتحدث عنه هنا هو الطبيب (سلامة سليمان)، ولهذا الطبيب قصة عجيبة غريبة تتضمن سلسلة من المغامرات والمطاردات والمفاجآت والمواقف العصيبة التي أشبه ما تكون بأفلام الأكشن، بل يرى مترجم هذا الكتاب أحمد إيبش أن بعضها يصلح لجيمس بوند أو إنديانا جونز، وعلى الرغم من ذلك فجميع ما ورد فيها من مغامرات هو واقعي وحقيقي. وفي الحقيقة أن بطلها لم يكن بدوياً بل كان طبيباً ألمانياً ينتمي إلى قوات المحور الألمانية بمصر!

ولذا فإن ما كتبه هذا الطبيب الألماني يكتسب أهمية خاصة تختلف عن المؤلفات الأخرى التي كتبها الرحالة والمستشرقون الذين جابوا الشرق العربي بملء إرادتهم بغض النظر عن أهدافهم المتباينة. فلقد عاش الألماني (هربرت بريتسكه Herbert Pritzke) وهذا اسمه الحقيقي ثمان سنوات طويلة ومتواصلة من حياته (1944ـ1952م) بدون إرادته أو اختياره لم يعد خلالها أبداً إلى موطنه في ألمانيا. تنقل هذا الطبيب الألماني خلال تلك السنوات بين أقطار المشرق العربي (مصر، فلسطين، لبنان، السعودية ، عمان) فتعلّم العربية وألمَّ بعادات وتقاليد العرب وعاش حياة البادية حتى أضحى (الطبيب البدوي)!

تبدأ مذكرات بريتسكه التي نشرها في فيينا عام 1956م من سجن عسكري لأسرى الحرب العالمية الثانية من الألمان وغيرهم؛ ويقع هذا السجن التابع للجيش البريطاني في محافظة الإسماعيلية بمصر، حيث انطلقت سلسلة مغامراته بهروبه من

هذا السجن على قدميه طلباً للحرية إلى الصحراء الواسعة، وهو لا يملك أي وثيقة تثبت هويته، بل بدون أي مقومات معيشية، حتى إنه شارف على الموت وكاد أن يهلك من الظمأ، ولكن شاء الله أن ينقذه من الموت صبي صغير كان يرعى الغنم، ليلتحق بعد ذلك بمخيم لعشيرة بدوية في تلك الأنحاء نصَّ على تسميتها بـ(عتيبة)، فعاش بين أفرادها كواحد منهم يمارس مهنة الطب في خيمته؛ حيث كان يعالج الوافدين عليه من البدو ويكسب لقمة عيشه من خلال عمله هذا؛ كما أن هناك من كان يستعين بخدماته في أعمال التهريب للأسلحة وغيرها عبر الصحراء من فلسطين أو من مستودعات الجيش البريطاني، وقد حكى في كتابه ما يصاحب هذه المغامرات من خطورة وإثارة بأسلوب شيّق، ولكنه يقرر بعد مضي مدة من الزمن التوجه إلى القاهرة للبحث عن وسيلة للعودة إلى وطنه بعيداً عن السلطات الرسمية، ليدخل منعطفاً آخر من المآزق والمفارقات لتقوده الأقدار إلى تنظيم (الإخوان المسلمين) فيلتقي أحد قيادات التنظيم في ذلك الوقت وهو (حسن الهضيبي) الذي دفعه ضمن مجموعة من المتطوعين الألمان إلى الحرب في فلسطين إلى جانب القوات العربية عام 1948م، ويقدّم بريتسكه شهادة ربما تكون محايدة عن الأوضاع والشخصيات العربية التي أدّت إلى انهيار الجبهة العربية في تلك الحرب، وتعتبر هذه المرحلة التي عاشها في فلسطين هي أهم ما جاء في الكتاب بصفة عامة.

انتقل الطبيب الألماني/ البدوي بعد ذلك من فلسطين إلى لبنان، حيث عمل في أحد مستشفيات الأمم المتحدة المقامة لمساعدة ضحايا النكبة؛ لتقوده الأقدار إلى منطقة الأحساء في المملكة العربية السعودية وتحديداً في مدينة الهفوف، حيث عمل في مكتب الصحة هناك، كما كان في الوقت نفسه طبيباً شخصياً للأمير سعود بن عبدالله بن جلوي خلال السنوات (1949ـ 1952م) وتكتسب هذه الحلقة من مذكراته بعداً تاريخياً تستحق به أن تفرد بتعليقات خاصة. عاد بريتسكه ليستقر به المقام في لبنان نهائياً في عام 1952م حيث حصل على الجنسية اللبنانية وتمكن بعد ذلك من زيارة وطنه الأم والتقى ابنه فولف ديتريش وله من العمر 10 سنوات وكان ابن عام ونصف عندما تركه في عام 1944م!

وأخيراً فإن كتاب (الطبيب البدوي) أحد إصدارات سلسلة (رواد المشرق العربي) الرائعة التي نشرتها هيئة أبوظبي للثقافة والتراث 2011م.

الكونتيسة موليتور روسية في قلب البادية

اطلعت قبل عدة سنوات على إشارة إلى مادة صحفية مرفقة بإحدى الوثائق البريطانية المؤرخة في 1913م تتحدث عن شابة روسية اسمها: (كونتس موليتور) خططت للقيام برحلة عبر الجزيرة العربية، ومنذ ذلك الحين كنت أسأل وأبحث عن معلومات عن هذه الشابة وهل قامت برحلتها فعلياً أو لم تقم؟!

وبين يدي اليوم كتاب يترجم كما أرجّح رحلة تلك المرأة، وقد صدر كتابها في لندن سنة 1925م، لتنضم بذلك إلى قائمة النساء الغربيات المستشرقات أو المستعربات أو الرحّالات في المشرق العربي أمثال الليدي آن بلنت ، وجيرترد بل، وفرايا ستارك، وإيزابيل إبرهارت، وفايولت ديكسون، وأليسون ليريك وغيرهن.

والحقيقة أن مترجم الكتاب بذل جهداً في التعريف بهذه الكونتيسة التي حملت أسماء متعددة هي: (دوروتيا لينكه، دوروتيا موليتور، الكونتيسة موليتور، أو الكونتيسة مالمينياتي، أو دوشكا) كما أنه حاول تحديد التاريخ الدقيق لرحلتها من خلال دراسته الفاحصة لنص الرحلة وتحليله للمعلومات الواردة فيها، ولكنه لم يظفر بضالته المنشودة وجوابه الشافي إلا بعد جولة موسعة بين مراجع المكتبة الأميركية في بيروت، ولا أدري كيف فاتته تلك الإشارة التي لم أجد من خلالها ضالتي إلا على يديه؟!

تنتمي هذه الكونتيسة ـ وهو لقب من ألقاب النبلاء في أوروبا ـ المغامرة إلى عائلة ألمانية كانت تقيم في روسيا حيث ولدت هناك عام 1883م، وأرسلت للدراسة في إنكلترا حيث تعلمت الفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والسلافية والعربية! وتزوجت من الكونت موليتور عام 1904م وتجوّلت معه عبر الجزائر بين الطوارق في الصحراء الكبرى، كما أمضت بعض الوقت في (ناميبيا) لتأسرها إحدى القبائل الأفريقية هناك أثناء قيامها بجولة استكشافية فينقذها خالها الذي كان حاكماً لناميبيا في ذلك الوقت. عادت بعد ذلك لتقضي عدة سنوات في أوروبا شُغلت خلالها بهواية الطيران والتحليق بالطائرات والمناطيد فأصيبت في عدة حوادث، ثم واظبت على زيارة قاعة الخرائط في الجمعية الجغرافية الملكية بلندن تقرأ نصوص الرحالين إلى جزيرة العرب؛ لتعرب في خريف 1913م لأمين سر الجمعية الجغرافية عن رغبتها في اكتشاف صحراء (الربع الخالي) في جنوب شرق جزيرة العرب، حيث كان مخطّطها القيام برحلة من جدة إلى مسقط بصحبة مناطيدها، وكانت مثل هذه المغامرة في ذلك العصر أمراً يفوق التصور! وقد أبحرت الكونتيسة فعلاً من ساوثهامبتون إلى بورسعيد، ومن هناك إلى بيروت حيث ركبت القطار متوجهة إلى دمشق التي وصلتها قريباً من شهر مايو 1914م، في حين تذكر أنها شرعت في رحلتها من دمشق بتاريخ 5 يونيو 1914م إلى تدمر برفقة (محمد البسام) ـ الذي كان مرافقاً لـ(جيرترد بل) في رحلتها أيضاً وصديقاً لـ(داوتي) قبل ذلك ـ حيث التحقوا في تدمر بمضارب قبيلة الولد علي من عنزة وشيخها (سلطان بن سطام الطيار)، فيما كانت الكونتيسة تظن طيلة الرحلة أنها مع قبيلة الرولة! ثم تحركت رحالتنا بقافلتها الصغيرة برفقة القبيلة إلى الحماد ثم عبر الدهناء خلال شهرين إلى الزلفي في 3 سبتمبر 1914م، حيث بلغتهم قبل وصولهم إليها أخبار التوتر السياسي العام بسبب قيام الحرب العالمية الأولى. وعندما اُكتشف في الزلفي وجود (رومية إفرنجية كافرة) في قافلة الولد علي تسبب ذلك في مشكلة كبيرة فرضت عليها الترحيل الإجباري بالخفارة إلى بريدة، ومنها إلى الرسّ فالحناكية ثم المدينة المنورة، لتكون أول امرأة أوروبية ـ حسب قولها ـ تذهب بالقطار إلى دمشق على سكّة حديد الحجاز بعد أن أمضت ثلاثة أشهر في الصحراء، ولكنها تختم رحلتها بالقول: (سيبقى الربع الخالي هدفي ما حييت).

وأخيراً فإنه تجدر الإشارة إلى تشكيك بعض الباحثين والرحالة – ومنهم معاصرها الرحالة التشيكي ألويس موسيل– في حقيقة هذه الرحلة التي ترجمها أحمد إيبش تحت عنوان: (رحلة إلى المدينة المنورة عبر قلب البادية) وصدرت عن هيئة أبوظبي للثقافة 2011م.

زويمر في رحلات متعرجة في بلاد الإبل

التحق صموئيل مارينوس زويمر (1867ـ1952م) بالإرسالية الأمريكية في الخليج العربي التي كانت مهمتها الأولى (التنصير) الذي يسمونه (التبشير) تحت غطاء الخدمة الطبية، فكان زويمر أحد المنصّرين المشهورين في البصرة والبحرين ومسقط وأماكن أخرى بين (1891ـ1905م) ولكن مهمّته فشلت فشلاً ذريعاً ولم يفلح في تنصير أحد من العرب.

وقد نشر زويمر حوالي 45 كتاباً أهمها (جزيرة العرب: مهد الإسلام) الصادر سنة 1900م، وكتابه (بلاد رأساً على عقب)، وكتابه الذي سنتحدث عنه هنا (رحلات متعرجة في بلاد الإبل) الصادر سنة 1911م والذي ترجمه أحمد إيبش ضمن سلسلة رواد المشرق العربي التي تصدرها دار الكتب الوطنية بهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة سنة 2012م.

يذكر زويمر في مستهل كتابه أن العرب مثل الجمل لا يحبون الطرق المستقيمة؛ فلم تكن الطرقات أبداً متوازية أو بمنعطفات قائمة، ولكنها تمتد عرضياً بكل أشكال الطرق ما عدا أقصرها! وهو بهذا يظهر تحامله وحيدته ضد العرب متجاهلاً بغباء تأثير التضاريس وموارد المياه في الصحراء القاحلة في تحديد مسارات الطرق!

ويشير إلى أنه على الرغم من وجود رحّالين جالوا في أركان الجزيرة العربية رغبة في اكتشافها مثل نيبور وبوركهارت وبيرتون وبلجريف وداوتي، إلا أنه لم يجْتَزْ أحد من المنصّرين جزيرة العرب مع أنهم قاموا برحلات في الداخل وعلى الساحل، ولذا فالجزيرة العربية بالنسبة إليه حتى ذلك التاريخ مازالت مجهولة لدرجة أن لديه خرائط عن القطب الشمالي وحتى عن سطح القمر أكثر من المنطقة الممتدة من جنوب شرق إلى وسط جزيرة العرب، وقد أرجع الأسباب إلى الصحاري الموحشة، والخوف من البدو، وامتعاض المسلمين من المسيحيين!

وهو يصف جزيرة العرب بـ(بلاد الجِمال) و(أم الإبل) ويؤكد أنه لا يمكن مشاهدة الجمل بكامل جماله إلا في هذه البلاد، ويذكر أن هناك علاقة وثيقة بين الجمل وجزيرة العرب لدرجة أنك لا تستطيع فهم العرب أو لغتهم دونه، فدون الجمل تصبح الحياة في جزء كبير من جزيرة العرب مستحيلة، ودون الجمل تفقد اللغة العربية بحد ذاتها الكثير من التعابير والكلمات وربما الكثير من أصواتها الصعبة، وعندما تتصفح قاموساً للغة العربية لا بد لك أن ترى في كل صفحة ذكراً لسفينة الصحراء الجميلة هذه وشيئاً عن حياتها، لقد أعطاه العرب خمسة آلاف وسبعمئة وأربعة وأربعين اسماً مختلفاً، وليس بالنسبة للغة العربية فحسب بل بكل اللغات. ليسهب في وصف الجمل قائلاً: طالما الجمل على قيد الحياة فهو يعطي الوقود والحليب والوبر الممتاز لصناعة الخيام والحبال والأغطية، وعندما يهرم يأكل العرب لحمه ويستعملون جلده لصنع الأحذية وعظام كتفه لصنع الألواح للدارسين.

وبصفة عامة فإن زويمر في هذا الكتاب كسائر كتبه لم يستطع الانفكاك من دوره التنصيري؛ ولذا فهو يعمد إلى الدس المغرض في كتاباته مثل قوله عن اليمن: «... ولو كان الشعب مسيحياً لكان من أكثر المناطق سعادة في العالم»!

تناول هذا الكتاب وصفاً لرحلة زويمر في اليمن عام 1893م، ورحلة من البحرين في عام 1901م إلى أبوظبي فدبي ثم الشارقة، ومنها إلى لنجة فالبحرين؛ عبّر فيها عن إعجابه بحاكم أبوظبي الشيخ (زايد الكبير) وسجاياه الكريمة، ثم رحلة

أخرى من الشارقة إلى صحار في مايو 1900م، ورحلة من البحرين إلى أبوظبي في مايو1901م، ومنها على ظهر جمل إلى البريمي ثم صحار، ومنها إلى مسقط، ويذكر أن هذه الرحلة كانت أطول رحلة برية قام بها في حياته، ثم رحلة من البحرين إلى دارين والقطيف سنة 1901م.

بول هاريسون مع العرب في ديارهم

يعتبر الطبيب بول هاريسون الذي أشار إليه الشاعر الفيحاني حيث قال:

الحـــــب طبـــــه عســـــر وأعجـــز (هريســـون) و(ديـــم)
والحـــــب مثـــــلك قـــبـــــر نـــــاسٍ وصـــــاروا رميـــــم

أحد أطباء البعثة العربية الأمريكية في الخليج العربي، حيث امتد عمله ضمن نشاطات البعثة على امتداد الخليج من العراق إلى عمان. وقد خلّد هذا الطبيب تجربته في شبه الجزيرة العربية في كتابين: أحدهما (طبيب في الجزيرة العربية) والآخر(العرب في ديارهم) إلى جانب بعض المقالات الأخرى، وقد نشرت دارة الملك عبدالعزيز أخيراً كتابه (العرب في ديارهم) باللغة العربية بترجمة محمد منير الأصبحي في إطار عنايتها واهتمامها بمصادر تاريخ الجزيرة العربية عموماً والمملكة العربية السعودية خصوصاً ونقلها من اللغات الأخرى خدمة للعلم والتاريخ والوطن.

جاء الكتاب في اثني عشر فصلاً مع ملحق جميل لصور نادرة التقطت في وقت مبكر لمجتمع الجزيرة العربية، حيث تناول المؤلف أسلوب الحياة في مجتمع الصحراء وفي مجتمع الواحات وفي مجتمع السواحل، كما عرض مادة خصبة

عن منطقة عمان الجبلية وعن بلاد الرافدين، وتطرق كذلك إلى الحديث عن طريقة حكم الأتراك لبلاد العرب، كما تحدث عن النفوذ البريطاني في المنطقة. ويكتسب حديثه عن الطب والجراحة في الجزيرة العربية، الذي جاء في الفصل الحادي عشر من الكتاب، قيمة علمية حيث أشار إلى أبرز الأمراض المنتشرة ووضّح طرق المعالجة التي برع فيها أهل الجزيرة العربية مثل عمليات علاج الكسور وانحراف الأهداب وغيرها. وينظر هذا الطبيب إلى عمليات الكي الممارسة بكثرة من منظار علمي، حيث يفسره بأنه يبعث الإثارة المضادة في الجسم؛ ولذا فهو يؤكد أنها مفيدة جداً في علاج بعض الأمراض، ولا عجب فإن التجربة خير برهان؛ فقد أصيب هذا الطبيب بذات الجنب فأعياه علاج نفسه ولم يجد بداً من اللجوء إلى طب أهل الجزيرة العربية، فكان شفاؤه على يد طبيب عربي لم يستخدم سوى (الميسم الحامي)!

وقد كتب المؤلف انطباعاته الإيجابية عن العربي في المناطق التي عمل فيها تلك الفترة، فوصفه بكرم الضيافة والتدين والوفاء، ومن ذلك قوله: «إنه رجل نحيل عصبي، بنيته البدنية تشبه وتر البيانو! [لعله خطأ من المترجم فالبيانو ليس آلة وترية]، وذهنه حاد ونشيط، وروحه حرة على نحو لا يقارن وغير مقيدة، وهو في الوقت نفسه أكثر أصحاب النزعة الفردية عناداً وأعظم أصحاب النزعة العالمية على وجه الأرض! وهو يقف منتصباً وشامخاً، تحت عبء ظروف من الفقر ووطأة العيش تبلغ حدّاً من المحتمل أنه لا يوجد شعب آخر يتحمّله في العالم، ويزدري بإشراق كل الكماليات ووسائل الراحة التي تنعم بها شعوب أوفر حظاً، وإخلاصه لصديق يثق به ولقائد عظيم ولدينه هو من نوع الحماسة الغامرة التي تبلغ أعلى درجة يمكن رؤيتها في أي مكان، وحبّه للحرية وإصراره على الإيمان بالمساواة الجوهرية بين كل الناس هما في الوقت نفسه تأنيب ومثال يحتذى بالنسبة إلى بقية العالم... إن البيئة قد نزعت كل شيء ناعم وجميل من حياة البدوي العربي، لكن الصحراء تصنع الرجال». ويتحدث عن مستقبل العربي فيقول: «... فالعالم يحتاج

إلى العربي، وقد لا يوجد عرق لديه إسهام أغنى يسهم به منه... وإذا كان يوجد شيء في هذا العالم يمكن أن نعدّه مؤكداً فهو أن هذه الموهبة لا يمكن أن تتطور في ظلّ وصاية أجنبية إرغامية». وفي الكتاب لفتات تاريخية وطرائف ولطائف اجتماعية، ولكن يبدو أنه لا يخلو من ملاحظات على دقة الترجمة.

عميل فرنسي في الخليج العربي

ظل التنافس بين الدول الأوروبية العظمى خلال القرن التاسع عشر الميلادي على مناطق آسيا ومنها الخليج العربي قائماً في ظلٍّ تنطوي عليه الرهانات السياسية في بسط نفوذها، فقد فتحت خلال تلك الفترة طرق الاتصال بين أوروبا والهند عبر السويس، وحدثت القطيعة السياسية بين فارس وإنكلترا، وسقطت الدولة السعودية الأولى، وأطلق العنان للتجارة مع الصين، وحدثت القطيعة بين السلطان وباشا مصر.

وبين يدينا كتاب أشبه ما يكون بسجل تاريخي يتسم بتعدد المجالات وتنوع الموضوعات، عمل مؤلفه فيه على الملاحظة الدقيقة وحاول تفسير شتّى الظواهر وحرص على إعمال حسّه النقدي؛ حيث وجّه نقده للإنكليز ولبني وطنه الفرنسي، فهو من المصادر المهمة للباحثين ويعطي تصوراً مفيداً للنشاط السياسي للدول الأوروبية في المنطقة من وجهة نظر فرنسية.

وكان مؤلف الكتاب الفرنسي فيكتور فونطانيي قد تلقى أمراً بالتوجه إلى منطقة الخليج العربي في عام 1834م كي ينقل للحكومة الفرنسية ما كانت تحتاج إليه من معلومات حول الأقاليم الجنوبية من فارس وتركيا، وكان يفترض أن يمنح صفة رسمية تكون حماية له، فاتفق المسؤولون على أن يمنح صفة العميل التجاري بعيداً عن الصفات الدبلوماسية الرسمية. وقد وضع كتاباً عنوانه (رحلة إلى الخليج العربي عبر مصر والبحر الأحمر) حيث اتخذ لفظ الرحلة عنواناً للكتاب؛ لأنه – كما قال –

يتحدث عن بلدان أجنبية زارها وأقام بها وانصب حديثه فيها على السياسة والتجارة؛ لأنه كان مكلفاً بمتابعة مصالح بلاده في هذا الشأن في مناطق آسيا، على أنه أشار إلى أن عناية فرنسا بقضايا الشرق ليست بالحجم الذي يتصوّره الناس! ويشير المؤلف إلى أن كثيراً من توقعاته السياسية من خلال قراءته للأحداث ومعايشته لها قد تحقق؛ حيث أكد أن الإنجليز سيهيمنون على منطقة الفرات، وهو ما حدث فعلاً ! كما أعلن أن القطيعة بين إنجلترا وفارس أمر لا مناص منه، فحدث الأمر كما توقع! وحذّر من مطامع الإنجليز في عدن فاستولى عليها الإنجليز في عام 1839م! وغير ذلك من الأحداث السياسية التي عاصرها، وهو ما يعطي انطباعاً عن دقة ملاحظة المؤلف ورصده للأحداث وقدرته في تحليل المعلومات السياسية التي توصل إليها.

جاء الكتاب في ثمانية عشر فصلاً واثنتي عشرة وثلاثمائة من الصفحات؛ تناول المؤلف خلالها تفاصيل رحلته الطويلة منذ مغادرة فرنسا إلى مصر، وحديثه المفصل عن مصر ومحمد علي باشا وإبراهيم باشا، ثم مغادرته القاهرة إلى القصير ومنها إلى جدة عبر البحر الأحمر، حيث تحدث عن الحج والحجاج والحياة التجارية في جدة، ثم مغادرته جدة إلى بومباي عبر اليمن، وبعد وصوله إلى بومباي ينتقل إلى بندر عباس وبوشهر ومنها إلى العراق التي تناول بإسهاب أوضاعها في تلك الفترة، ثم يؤرخ المؤلف للحرب على المحمّرة.

وأخيراً فيجدر التنبيه إلى أن مؤلف الكتاب هو في الأصل عالم طبيعيات احترف العمل الدبلوماسي، وله عدد من المؤلفات في أدب الرحلات منها (رحلات إلى الشرق) وهي أسفار قام بها بأمر الحكومة الفرنسية ما بين 1821ـ1829م ، ومنها (رحلة إلى الشرق ما بين 1831ـ1832م) ومنها (رحلة إلى أرخبيل الهند). أما الكتاب الذي عرضنا بعض مضمونه هنا فقد صدر عن هيئة أبوظبي للثقافة هذا العام 1435هـ/ 2013م بترجمة محمد سعيد الخلادي ومراجعة فريد الزاهي.

الشايب الأحمر والذهب الأسود

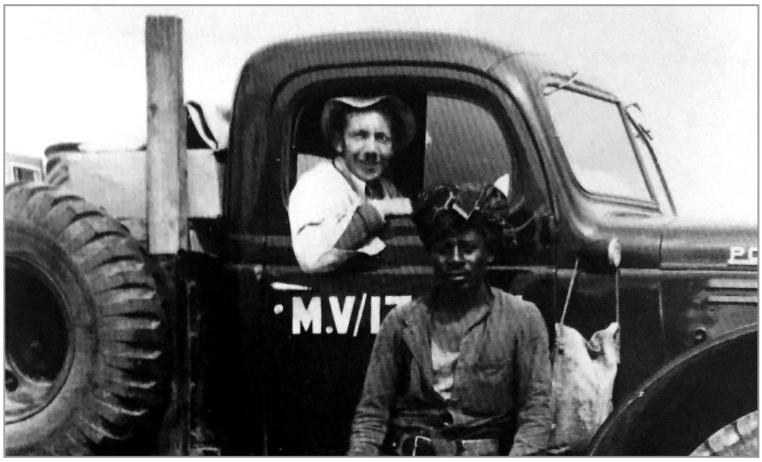

غادر الإنجليزي مايك مورتون ذو الواحد وعشرين عاماً إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية وتحديداً في عام 1945م على متن سفينة خالية كانت متجهة إلى فلسطين لنقل الجنود، ليبدأ حياته العملية جيولوجياً بشركة نفط العراق، حيث تنقّل في أرجاء الشرق الأوسط في إطار أعمال التنقيب خلال الخمسة والعشرين عاماً التالية، وزار كافة مناطق امتياز الشركة تقريباً من وادي البقاع في لبنان إلى حدود فارس ، ومن جبال قرداحة في سوريا حتى سواحل الخليج، ومن شمال عمان حتى ظفار ومحمية عدن الشرقية في اليمن.

جاب مايك وزملاؤه أرجاء الجزيرة العربية خلال سلسلة من عمليات الحفر في جنوب شبه الجزيرة العربية بين العامين 1947م و1954م في وقت كان سلوك هذه المناطق مغامرة خطيرة، ومن المفارقات أنه عند وصول مايك وزملائه إلى عدن في بداية عملهم في جنوب شبه الجزيرة العربية في خريف 1947م التقوا الرحّالة (ولفريد ثيسجر) ذلك المستكشف العظيم الذي كان على وشك القيام بعبوره الثاني للربع الخالي؛ كان لقاؤهم مفترق طرق لمستكشفي الصحراء عملياً ورمزياً؛ فطريق الجيولوجي أدّى إلى المستقبل من خلال النفط والثروة حيث تغير أسلوب الحياة، أما طريق ثيسجر فقاده إلى الماضي؛ إلى أسلوب حياة البدو الذي لم يتغيّر على مدى قرون!

نقل مايك إلى عمان وشارك في عمليات (DEF) التي فتحت الداخل العماني أمام عمليات التنقيب عن النفط عام 1954م ليكتشف النفط في جبل فهود ، وفي ستينيات القرن العشرين دفعت مايك ظروف العمل للاستقرار في أبوظبي حيث أصبح مسؤولاً عن العمليات الجيولوجية في وقت اكتشاف حقل نفط بوحصا الكبير، ولعل إقامته في أبوظبي امتدت خلال الفترة 1966ـ 1971م.

لقد كان مايك شخصية لافتة بشعره الأحمر، وطبعه الحادّ أحياناً، ولكنه سرعان ما تعلّم التحدث باللغة العربية وظفر باحترام البدو الذين أطلقوا عليه لقب (الشايب الأحمر). والتقط خلال جولاته الاستكشافية العديد من الصور الفوتغرافية ذات الدلالة التاريخية التي سجّلت فيها العدسة أسلوب معيشة السكان وطرق المواصلات وأحوال البيئة وظروف الحياة بطريقة أبلغ من أي كلام يمكن أن يقال أو أي وصف يمكن أن يكتب وفي زمن لم يكن يعرف السكان ماهية الكاميرا، فيظهرون على طبيعتهم بكل نقاء دون أي مؤثرات موهمة بخلاف الحقيقة.

بعد وفاة مايك مورتون سجل ابنه مايكل كوينتين سيرة حياة والده في كتاب بعنوان (في قلب الصحراء) تضمّن العديد من الصور الفوتغرافية، وقد نشر لأول مرة في 2006م وبعد نشره تبقّت صور كثيرة من مجموعة والده بلا نشر فقرّر أن يجمعها مع غيرها في سجل فوتوغرافي فريد لشبه الجزيرة العربية يشمل الفترة من بداية استكشاف ولفريد ثيسجر للربع الخالي وحتى اكتشاف النفط في المنطقة (1947ـ1971م) وضمّ صوراً لم يسبق نشرها لقوم لم يتح لهم سوى فرص قليلة للقاء أناس من الغرب في ذلك الزمان.

يشير كوينتن في مقدمة كتابه الذي صدر عام 2011م عن المركز الوطني للوثائق والبحوث في أبوظبي باللغتين العربية والإنجليزية معاً تحت عنوان (الذهب الأسود والبخور) إلى أنه لولا صداقة السكان المحليين وترحيبهم لما تمكن العاملون في مجال النفط من القيام بمهامهم والتقاط تلك الصور، ولذا فهو لم ينس أن يقدم غاية الشكر لأولئك الناس الذين وقفوا أمام آلات

التصوير آنذاك، مشيراً إلى أهمية إتاحة أرشيفات ومجموعات الصور الخاصة بشركات النفط، وقد استطاع المؤلف الاستفادة من صور أرشيف شركة النفط البريطانية بجامعة واردیك، وصور أرشيف شركة النفط العراقية، وصور أرشيف شركة تنمية النفط بعمان، مؤكداً أن والده لو كان على قيد الحياة لشعر بسعادة لنشر تلك الصور ولأهدى الكتاب لأهالي جنوب الجزيرة العربية التي عقد صداقات مع الكثير منهم.

مع فيلبي وجهات أربع

(1)
جون فيلبي أعظم مكتشفي جزيرة العرب

يعتبر جون فيلبي من الشخصيات الشهيرة في القرن العشرين بل يعتبر أعظم مكتشفي الجزيرة العربية، وتعتبر مؤلفاته من المراجع المهمة لدراسة تاريخ الجزيرة وجغرافيتها في العصر الحديث. وبين يدي كتاب حديث للعراقي صبري فالح الحمدي عنوانه: (جون فيلبي والبلاد العربية السعودية، في عهد الملك عبدالعزيز بن سعود 1915ـ 1953 م) الذي تضمن قصة هذا الرجل العجيب وعلاقته بالمملكة العربية السعودية، وقد جاء في خمسة فصول وتمهيد احتوى حديثاً عن نشأة فيلبي والوظائف التي تقلدها في حكومة الهند، فيما تناول الفصل الأول دور فيلبي تجاه العلاقات النجدية/ الحجازية ممثلاً للسياسة البريطانية التي كان آخرها محاولته للوساطة أثناء حصار جدة بين الملك عبدالعزيز والملك علي بن الحسين 1926م، أما الفصل الثاني فركّز على دور فيلبي خلال الفترة 1915ـ1921م بشأن العلاقات النجدية/ الكويتية، وفي الفصل الثالث تحدّث المؤلف عن نشاط فيلبي التجاري وأثره في تحديث الدولة السعودية، في حين اختص الفصل الرابع بدور فيلبي في العلاقات السعودية الأمريكية خلال الفترة 1928ـ1945م، أما الفصل الخامس والأخير فتناول شيئاً من رحلات فيلبي في الجزيرة العربية وملامح شخصيته وآراءه ومغادرته السعودية وأبرز مؤلفاته، وقد ذيّل

الكتاب بكمية مبالغ فيها من الملاحق!

ربما ظهر في هذه الدراسة التوثيق والاستعانة بمصادر متنوعة، إلا أن المؤلف يميل إلى جمع المعلومات ونقلها من المصادر دون التحقق من صحتها أو تحليلها؛ ولذلك لم تصل إلى استنتاجات جديدة بقدر دعمها للصورة النمطية المبالغ فيها والتي رسمتها بعض المصادر غير المحايدة لفيلبي كشخصية أسطورية تصنع الإمبراطوريات وتحطم الممالك في محاولة لإلباسه لباس لورنس وغلوب لهدف أو لآخر! وإضافة إلى تجاهلها لبعض المصادر نلاحظ عدم اعتمادها على مؤلفات فيلبي مباشرة عند استجلاب بعض المعلومات! والحقيقة أن فيلبي رجل إنجليزي انتدبته الحكومة البريطانية لمفاوضة الملك عبدالعزيز أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعد انتهاء مهمته ظلّ فيلبي على اتصال ودّي شخصي بالملك عبدالعزيز لا علاقة له بالعمل السياسي، ثم إن فيلبي تقلّب بعد ذلك في وظائف الحكومة البريطانية التي كان آخرها معتمداً للحكومة البريطانية في شرق الأردن، إلا أنه بسبب خلافات في وجهات النظر بينه وبين حكومته قدم استقالته وقطع كل علاقة رسمية له بالحكومة البريطانية، عندئذ لجأ إلى صلاته الشخصية القديمة مع الملك عبدالعزيز وقدم إلى جدة التي كانت وما زالت مدينة مفتوحة بهدف البحث عن فرصة للاستكشاف وكذلك ممارسة التجارة؛ لأنه يعلم أن هذه الدولة الناهضة مقبلة على تحديث شامل وتطور مشهود، حيث كان معجباً بشخصية الملك عبدالعزيز ومبهوراً بقدراته وحنكته السياسية، فأسّس مع آخرين (الشركة الشرقية) وأصبح وكيلاً وحيداً لعدد كبير من الشركات الصناعية الشهيرة وعلى رأسها شركات فورد وبيتر وسنجر، فكان يعمل على توريد بضائع عديدة للمملكة أكبرها (الشاحنات) وأصغرها (علبة الكبريت) ثم تقوّت صداقته مع الملك عبدالعزيز بعد إسلامه سنة 1349هـ فكان أخاً في الإسلام وصديقاً شخصياً للملك قبله وبعده، ولا شك أن صداقة فيلبي للملك عبدالعزيز ساعدته في تجارته؛ فقد كانت الحكومة أكبر عملاء شركته، كما أن الملك عبدالعزيز كان أكبر داعم له في رحلاته واكتشافاته، ولكنه لم يكن يسمح له بالتدخل في السياسة الخارجية للمملكة، وإذا تحدث بأي حديث قد يفهم منه أنه يمثل وجهة نظر الدولة السعودية كان التكذيب

لحديثه منشوراً في الصحف والتأكيد على أنه لا يمثّل إلا نفسه، وإن تبادل الملك معه الأحاديث يوماً أو كلّفه بعمل ما فهو من باب الصداقة، لكنه طيلة وجوده في المملكة لم يكن له أي صفة رسمية لا في المملكة ولا في بريطانيا.وعلى الرغم من وفاة عبدالله فيلبي المسلم وكون أبنائه (فارس وخالد) سعوديين ظلّ التشكيك في سبب قدومه وإقامته في المملكة ديدن المغرضين ولا يزال، ولعل في هذا تفسيراً للتدليس الذي لاحظناه في ملاحق الكتاب.

(2)
فيلبي في حضرموت

يـــا نديبـــي فـــوق زينـــات المحـــالي مـــن فـــروتٍ جابهـــا (فلبـــي) هديـــة
نصّـــه القـــصر الخـــضر هـــاك الموالي زامـــيٍ دون البحـــر كنّـــه طميّـــة

شعر ينسب إلى الشيخ نافع بن فضلية قد يكون فيه تأريخ للنشاط التجاري للرحالة والمستشرق البريطاني (جون فيلبي) في مدينة جدة؛ لأن شركته كانت أول مورّد لسيارات فورد الأمريكية في المملكة العربية السعودية وكانت تبيعها ولا تهديها كما قد يفهم من كلام الشاعر! وكنت قد كتبت عن فيلبي سابقاً كأعظم مكتشفي الجزيرة العربية، وبين يديّ اليوم كتاب لطيف لا يزيد على 119 صفحة عنوانه (المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت) ألّفه أستاذ للأدب في جامعة عدن درس رحلة فيلبي إلى حضرموت من خلال قراءة تحليلية لكتاب فيلبي (بنات سبأ) الذي حوى سرداً لهذه الرحلة وكذلك قراءة كتابي فيلبي المتضمنين لسيرته الذاتية وهما (أيام عربية) و (أربعون عاماً في البرية)، وكذلك الملف الخاص بفيلبي في وثائق الاستخبارت البريطانية التي نشرها مكتب السجلات العامة والأرشيف القومي البريطاني عام 2002م.

هذا الكتاب في مجمله دراسة أدبية تاريخية لكتاب (بنات سبأ) الذي خصّصه فيلبي لسرد رحلته إلى حضرموت في سنة1355هـ/ 1936م في ظل عدم وجود دراسة لرحلة فيلبي هذه، وقد قام المؤلف بقراءة تحليلية لكتاب (بنات سبأ) فصّل فيها وقائع زيارة حضرموت ورصد ردود فعل الحكومة البريطانية والسكان المحليين والإمام يحيى حميد الدين تجاه الزيارة.

جاء الكتاب في خمسة فصول: الأول خصص لسيرة فيلبي، والثاني والثالث لتحليل وقائع زيارة فيلبي لحضرموت وردود الفعل السياسية والاجتماعية نحوها، والفصل الرابع تناول الأبعاد العلمية لتلك الرحلة، فيما تطرق الفصل الخامس للأبعاد الفنية والأيدولوجية لكتاب بنات سبأ. ولعل هذا العمل من أوائل الدراسات الأدبية

للأسلوب الفني الذي اتبعه فيلبي في تدوين رحلاته والذي يعتمد على تقنية السرد والوصف إضافة إلى الصور والرسومات والخرائط.

ما لفت نظري أن مؤلف الكتاب الدكتور مسعود سعيد عمشوش كان متجرّداً ولذا فلم يندفع إلى تبني الصورة النمطية السلبية لشخصية فيلبي وعلاقته بالمملكة العربية السعودية التي قولبتها بعض المراجع العربية؛ حيث حاول الربط بين المحطات الرئيسة في حياة فيلبي مؤكداً أن الدافع الأول لمجيئه إلى الجزيرة العربية هو الاستكشاف وليس خدمة المصالح البريطانية أو ابن سعود.

وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب – الذي كنت أتمنى أن تكون طباعته أجمل وأفضل – إلا أنه طرق جانباً من حياة فيلبي لم يتناوله الدارسون لهذه الشخصية. ومما يؤخذ على المؤلف اعتماده بصورة رئيسة على ترجمات مكتبة العبيكان لكتب فيلبي والملاحظات حول دقة هذه الترجمات معلومة للباحثين، وكان الأولى به الاعتماد مباشرة على النصوص الأصلية للمؤلفات وخاصة الكتاب الذي اختصت به الدراسة.

ولا يزال في سيرة وآثار فيلبي جوانب تستحق العناية والدراسة من قبل الباحثين في الأدب والتاريخ والجغرافيا والآثار؛ لأنه ينفرد في مؤلفاته بتدوين معلومات عن بلادنا في مرحلة مبكرة من تاريخها، ويندر أن تخلو دراسة في التاريخ السعودي الحديث من الإحالة إلى مؤلفات فيلبي والاعتماد عليها.

(3)
قصة عبدالله فيلبي

سيظل فيلبي (1883– 1960م) المستكشف والمستشرق والسياسي البريطاني مالئ الدنيا وشاغل الناس على الرغم من مضي أكثر من نصف قرن على وفاته؛ فها نحن نكتب عنه هنا مرة ثالثة ولكن باتجاه مختلف. فخلال فترة وجيزة صدرت عن هذه الشخصية ثلاثة كتب جديدة من بينها قصته التي جاءت بطريقة مختلفة في كتاب صغير في الحجم كبير في الأهمية والمادة؛ لاعتماده على الوثائق بصورة مباشرة، وليست أي وثائق! بل هي وثائق سرية وخطيرة للمخابرات البريطانية خلال الفترة (1929– 1948م) حيث أفرج مكتب السجلات والأرشيف القومي في بريطانيا يوم الخميس 28 نوفمبر 2002م لأول مرة عن 311 ملفاً عن العملاء والنشاط الاستخباري، وكان بين تلك الملفات ملفان عن هاري سانت جون بروجر فيلبي فيهما 236 وثيقة تقود قراءاتها إلى الوقوف على حقيقة تلك الشخصية المثيرة لتؤكد أن الوثائق هي المصدر المضيء للمعلومات التاريخية.

فيلبي الذي جادل الحكومة البريطانية في كون الملك عبدالعزيز هو الوحيد القادر على توحيد معظم أجزاء الجزيرة العربية خلافاً لترشيحات لورنس وغيره.

فيلبي الذي استقال من خدمة حكومته واتجه إلى الجزيرة العربية، ثم اعتنق الإسلام وأصبح صديقاً للملك عبدالعزيز. وهذا الكتاب الصادر عن دار جداول للنشر والترجمة البيروتية في بداية 2014م هو كما جاء في صفحاته أشبه ما يكون بمشاهدة فيلم سينمائي عالي الجودة، حيث اتخذ مترجم الوثائق الصحفي السوداني الراحل حسن ساتي في عرضها منهجاً على طريقة المشاهد واللقطات؛ حيث يتنقل بينها بحرية من دون التزام بالترتيب التاريخي، مع الاحتفاظ بالرابط الموضوعي الذي يربط بينها جميعاً في عقد واحد.

جاء الكتاب في سبعة فصول تناولت حياة فيلبي ومغامراته ومواقفه وأدواره

وعلاقته المتوترة بالحكومة البريطانية، منذ استقالته من خدمتها في عام 1924م، حيث عرضت الوثائق صفحات غائبة وتفاصيل غير معروفة؛ منها ملاحظة حكومته بأنه يقوم بتأهيل متطوعين من الإنكليز دفاعاً عن العرب، وتحريضه العرب ضد بريطانيا، وكونه وسيطاً لبيع السلاح، ودفاعه عن القبائل اليمنية التي قتلت طيارين بريطانيين، وموقفه المتشدد من بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ومهاجمته سياستها ما أدى إلى سجنه والتشكيك في ولائه.

تناول الفصلان الأول والثاني لمحات من حياته ورسائله وما قيل عنه، في حين كان عنوان الفصل الثالث: (الملك عبدالعزيز والعرب بعيون وقلم فيلبي) فقد وصف فيلبي فيه الملك عبدالعزيز بأن البساطة مفتاح شخصيته وليس له ود مع طقوس المراسم والتباهي والتفاخر، وسعادته الكبرى في جلوسه أمام العامة في قصره حيث بوسع كل المواطنين الاقتراب منه.

ونجد في الفصل الرابع وثائق تتناول رحلته إلى حضرموت وموقف البريطانيين واليمنيين منها. أما الفصل الخامس فقد كانت وثائقه مختصة بالاتفاقية السعودية – الفرنسية متضمنة الإشارة إلى موقف بريطانيا المتهاون من وحدة المملكة. وفي الفصل السادس تعرض وثائق عن أسباب اعتقال السلطات البريطانية في الهند لفيلبي بموجب قوانين الدفاع في عام 1940م وإرساله إلى بلاده وسجنه هناك حيث حرم من السفر إلى أمريكا.

أما الفصل السابع فتناول كيفية إدارة الملك عبدالعزيز لمفاوضات النفط وسبب إعطاء الامتياز للشركة الأمريكية.

وأخيراً ربما سلطت هذه الوثائق الضوء على أغوار شخصية متعددة المواهب بالغة التعقيد تتوقد مواقفها في كل قضية لأنها تعتد برأيها إلى درجة تلامس الغرور، ولكنها في نفس الوقت لا تكف عن الحرب في كل الجبهات وبصدق أحياناً من دون تحقيق أي نصر في معظم المعارك! كما كشفت هذه الوثائق بوضوح عن طبيعة علاقته بالمملكة التي اشغلت كثيراً من الناس.

(4)
حكاية إسلام فيلبي

قال مراسل صحيفة (الماتان) الذي كان يجري لقاء مع جون فيلبي في جدة أول عام 1349هـ/ 1930م: ولما أتم جون فيلبي ما كان يقص علي وما كان يجيب به على أسئلتي بصراحة تامة، سألته أيضاً: لماذا لا تقدم إذن على اعتناق الإسلام حتى يتم لك بذلك كل ما تحب وتصبح جندياً وطناً وعقيدة؟! فأجاب: إنه سيكون يوماً ما مسلماً، عندما يتم شعوره وتأثره بهذا الدين؛ لأنه لا يود أن يكون إسلامه قشوراً فهذا الدين دين قويم قائم على قواعد معقولة فهو جميل لأقصى حد، وإن ذلك اعتقاده وهو أفضل من أن يتخذ هذا الدين قناعاً يستتر به ويتظاهر بالتقوى وقلبه خراب وسريرته فاسدة.

ولم يلبث فيلبي بعد كلامه هذا لمراسل الصحيفة إلا قليلاً حتى أعلن إسلامه بعد أن عاش في بلاد العرب ثلاث عشرة سنة وأشعر الملك عبدالعزيز بذلك في خطاب قدمه إليه الملك مؤرخ في 9 ربيع الأول 1349هـ نشرته جريدة أم القرى، ومما جاء فيه:

«... إنه قد حصل لي الشرف لأن أعرض على أنظار جلالتكم فيما سبق رغبتي في اعتناق الديانة الإسلامية وترك ما عداها من الأديان. والآن جئت مرة أخرى أبين لجلالتكم أن الله قد شرح قلبي بقبول الإسلام وهداني إلى قبول هذه الديانة عن عقيدة راسخة وقناعة وجدانية تامة؛ ولهذا فإنني (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله)، وأعتقد بكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح...».

وكان من الطبيعي أن يقابل إعلان إسلامه بالسرور وتقدم له التهاني ويحتفى به في البلد الذي اختاره مستقراً له، وقد تسمى بعد إسلامه رسمياً بـ (عبدالله) فيلبي، ولكن ظل موضوع إسلام فيلبي الشغل الشاغل للصحف العربية والأجنبية في تلك

الأيام لتعلقه بشخصية مثيرة ومختلف عليها في الأصل، وقد كتب كثيرون يشككون في صحة إسلامه، بينما دفع آخرون تلك التهم بعقلانية، في حين أورد بعضهم نبذاً عن سيرته السياسية والعلمية، هذا الاختلاف على الرغم من عدم توقعنا وجوده إلى اليوم إلا أنه اختلاف مستمر في الواقع القديم والحديث، وكان شاعر الخليج في تلك الفترة الشاعر خالد بن محمد الفرج قد عبّر عن هذا الموضوع بأبيات طريفة ظريفة فقال:

الحمـــــــد لـــله ربـــــي ... قـــد أسلـــم اليوم (فلبـــي)
وذاك نصـــــر عظيـــــم ... نلنـــاه مـــن غـــير حـــرب
ومـــن كـفـلبـــي غنـــم ... حزنـــا بـــه خيـــر كســـب

* * *

والنـــاس قالـــوا وقالـــوا ... كـــلام بغـــض وحـــب
لكـــن منهـــم أديبـــاً ... ربّ اطـــلاع ولـــبّ
يقـــول ناقشـــت فلبـــي ... فقـــال: ســـري (بقلبـــي)

والحقيقة أن التوسع في مناقشة هذه المسألة لا فائدة منه لأنه ليس للناس في مسائل العقيدة إلا الظاهر، وأما ما تحتويه الصدور فلا يعلمه إلا الله، والذي لا شك فيه أن فيلبي عاش الثلاثين سنة الأخيرة من حياته مسلماً يمارس شعائر الدين كسائر المسلمين حتى وفاته في بيروت في 30 سبتمبر 1960م حيث صلي عليه ودفن في المقبرة الإسلامية هناك.

بلجريـف فـي حائـل

تميّز الرحّالة البريطاني ويليام جيفورد بلجريف (1826 – 1888م) من بين الرحّالة الأوربيين بأنه أول أوروبي زار الرياض عاصمة الدولة السعودية وهي في أوج قوتها، وهو أول من اخترق إقليم سدير بعد توقف لفترة في القصيم، وهو أول أوروبي أقام في الأحساء فترة طويلة ثم في القطيف في طريقه إلى المناطق الجنوبية من الخليج حيث تمكّن من زيارة ضفتيه الشرقية والغربية؛ ولذا فإن هذا الرحّالة الذي اخترق الجزيرة العربية من أقصى نقطها في شمالها إلى أقصى نقطة في جنوبها الشرقي يعد أول من قام بهذه الرحلة الشاقة لا بوصفه سائحاً عابراً وإنما بوصفه مراقباً وراصداً ومحقّقاً لأوضاع هذه المناطق سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

هذه هي الأسباب التي دعت الدكتور محمد بن عبدالله آل زلفة إلى ترجمة وتحرير رحلة بلجريف التي صدرت في لندن سنة 1865م تحت عنوان: (وصف رحلة سنوات خلال وسط وشرق الجزيرة العربية) كما ساقها في الجزء الأول من هذه الرحلة الذي نشرته دار بلاد العرب 2012م بعنوان: (حائل في كتابات الرحالة ويليام بلجريف 1279هـ/ 1862م) مشيراً إلى أنه سيتبعه بأعمال أخرى تتضمن ما كتبه بلجريف عن القصيم وسدير والعارض، ثم ما كتبه هذا الرحّالة عن الأحساء والقطيف وغيرها. وبغض النظر عن الخوض فيما أثير حول شخصية بلجريف وآرائه المتطرفة ومواقفه

المتحاملة، وما نشر من شكوك حول حقيقة هذه الرحلة التي أنكر وقوعها وكذّب صاحبها عدد من الباحثين والمستشرقين، وأبرزهم على سبيل المثال جون فيلبي وروبن بدول ومايلز ، فإن ترجمة ما كتبه الرحّالة والمستشرقون عن بلادنا بشكل عام أمر في غاية الأهمية؛ لأنها من المصادر التي لا يستغني عنها الباحث في تاريخ الجزيرة العربية بصفة عامة وتاريخ الدولة السعودية بصفة خاصة، ولذا فمن واجبنا أن نشكر آل زلفة على جهوده وأعماله المتعددة في هذا الباب.

وقد عمد آل زلفة إلى تقسيم كتاب بلجريف المكوّن من مجلدين إلى أربعة أجزاء في ترجمتها العربية ـ كما ذكرـ تسهيلاً على القارئ العربي وتجنباً لضخامة الكتاب؛ حيث حصر كل جزء في منطقة جغرافية واحدة بحيث يصدر مستقلاً عن الآخر. ويبدو لي أن ذلك سيكون على مدى زمني غير محدد، وكنت أتمنى ألّا يتم تقسيمه بهذه الطريقة بل تصدر الترجمة الكاملة لكتاب بلجريف متصلة في قالب واحد؛ حفاظاً على وحدة الرحلة والكتاب، ومنعاً لتشتيت الذهن بتفريق مادة الكتاب؛ لأنها ستكون عندئذ أكثر فائدة للعلم والتاريخ وللقارئ الحقيقي الذي لن يثقله حجم الكتاب بقدر ما يزعجه انتظار مادته الباقية.

أما ما يخص حائل فقد جاء في ثلاثة فصول: الأول عن وصف رحلته من الجوف حتى دخوله حائل، والفصل الثاني عن الحياة في حائل، أما الثالث فخصصه عن الحياة داخل قصر الحكم في حائل.

استطاع بلجريف من خلال هذه الفصول الثلاثة –كما يؤكد آل زلفة – أن يرسم صورة ذهنية جميلة بل رائعة عن مدينة حائل، وعن نظام الإدارة، وطبيعة الحكم المحلي في هذه المنطقة الإدارية التابعة للدولة السعودية الثانية في ذلك الحين، وعن شخصية أميرها طلال بن عبدالله الرشيد الذي رسم المؤلف له صورة رومانسية للحاكم العربي المتصف بالصفات العربية النبيلة، كما قدم صورة عن مجتمع حائل وتركيبته السكانية والجذور التاريخية لقبيلة شمر ومواطن طيئ، وتطرق إلى روح التسامح التي يتحلّى بها هذا المجتمع

العربي الأصيل، كما ذكر أهم مميزات المجتمع الحائلي المتسم بالكرم والانفتاح واحترام الغريب وتقديره، كما تحدث عن الأوضاع السياسية في حائل والأحداث التي شهدتها أثناء إقامته بها، كما تحدث عن علاقة حائل بالرياض وعلاقاتها بغيرها.

آندرو كرايتون وحياة العرب الاجتماعية

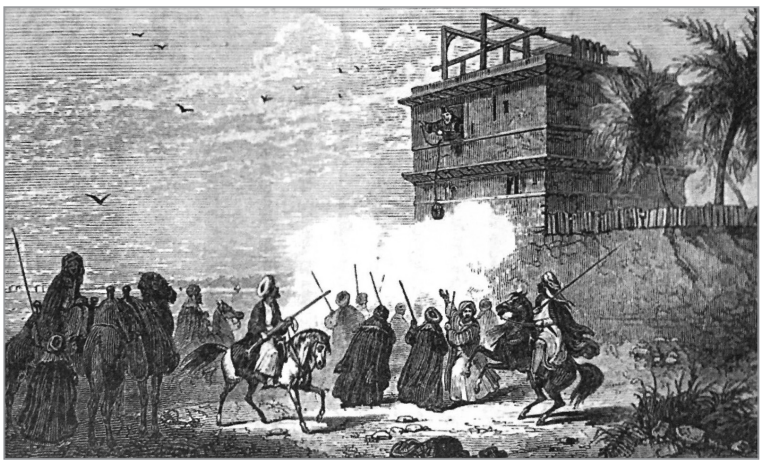

مازالت كتابات المستشرقين معيناً لمؤرخ الجزيرة العربية، وكلما نشطت حركة الترجمة من كل اللغات لتلك المدونات القديمة سهل معرفة المصادر الغائبة عن المكتبة العربية وتهيأ الاطلاع عليها، وبالتالي فإن ذلك يدفع بالدراسات والبحوث التي تعتمد على تلك المصادر إلى الأمام، ولذا فإنه مما يسعد المهتمين نشر أي ترجمة جديدة لكتاب يتماسّ مع تاريخنا المحلي قديماً وحديثاً، ولكن الفائدة العلمية تكون أكبر إذا كان الكتاب من المؤلفات المعاصرة لفترات زمنية قليلة المصادر.

ويأتي (آندرو كرايتون) ضمن المؤلفين الأوروبيين الذين كتبوا عن الدولة السعودية الأولى ومؤلفات أولئك ابتدأت بكتابة كارستن نيبور ولم تنته بما كتبه كورانسيز وبوركهارت؛ في حين نشرت دارة الملك عبدالعزيز أخيراً ترجمة الدكتور عبدالله العثيمين لجزء محدود ربما هو المتعلق بتاريخ الدولة السعودية من كتاب كرايتون (تاريخ جزيرة العرب قديماً وحديثاً) المطبوع في أدنبرا 1833م، حيث اختصت الترجمة بالفصل الثاني من الجزء الثاني وعنوانه (حياة العرب الاجتماعية) وكذلك الفصل السابع من الجزء الثاني وعنوانه (تاريخ الوهابيين) وضمّا معاً تحت عنوان (تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية) ونظراً لأهمية التأريخ للحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية فسنقصر الحديث عنها؛ حيث يرى كرايتون فيما دوّنه من معلومات عامة غير موسّعة أن المناخ والحكومة والتربية هي العوامل التي تكوّن

شخصية الأمم وتعدّلها، ولا يوجد مكان يظهر فيه تأثيرها أكثر من ظهوره في جزيرة العرب، في حين يعزي كثيراً من الفضائل التي يمتاز بها أهل البلاد إلى العامل الأول، ويؤكد أنه لا يوجد أكثر روعة من العرب في روحهم الوطنية وافتخارهم الأسري وحفظهم لأنسابهم على الرغم من أنه لا يوجد لديهم سجلات مكتوبة لهذه الأنساب؛ متناولاً بعد ذلك مراتب النبل وحياة السكان وأثاثهم ولباسهم ومظهرهم الشخصي، ومتحدثاً عن رهافة شعورهم وقدراتهم في تقفّي الأثر، وسلاحهم وطعامهم وطريقة الطهي والأكل، والأمراض المنتشرة في ذلك العهد وطرق تطبيبها؛ وكما تحدث عن الثروة والصناعة والتجارة، تحدث أيضاً عن الزواج والطلاق، والختان وتربية الأطفال، والجنائز، وطرق التحية والضيافة، والحرب والنهب، والسرقة والقتل، والتسلية والشعر والموسيقى، والتعليم والخرافات، واللغة والفن، وأخيراً طرق الملاحة، وعدد السكان، وانطباعات أخيرة مقتضبة.

وبينما يرى العثيمين أن المؤلف يكن العداء للإسلام والعرب عموماً فإنه يؤكد في مواضع عدة أن مراده بكلمة العرب في كتابه هو البادية من القبائل العربية. ولا أستغرب هذه القناعة عند أستاذنا الفاضل؛ ربما لأنه لا ينظر للموضوع من منظور المؤلف الغربي لسكّان الجزيرة العربية، في حين يلاحظ المتصفّح للترجمة استعمال المؤلف مصطلح (البدو) جنباً إلى جنب مع مصطلح (العرب) ثم إن المؤلف وإن ركّز على البدو في بعض المواضع فإنه يتحدث عن الحياة الاجتماعية للبدو كما يتحدث عن سكّان المدن، ونجد إشارات عديدة إلى حياة السكان في حواضر الحجاز مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة وينبع وحواضر اليمن كاللحية وصنعاء وكذلك عن الجوف في شمال الجزيرة وكذلك الدرعية، ويظهر ذلك جلياً في أحاديثه عن الزواج والطلاق، والضيافة والحرب والثأر، والتعليم واللغة، والصناعة والتجارة، وعدد السكان؛ فلا شك أن طابع الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية متقارب وإن اختص كل من البادية والحاضرة بخصائص تميّز كلاً منهما عن الآخر، بل إن التمايز يختلف من بادية إلى بادية ومن حاضرة إلى حاضرة حسب الموقع الجغرافي، وإنما التقط كرايتون صورة عامة وعيّنة مشاعة للعرب.

وما يجدر بنا التنبيه عليه أن اختزال فصول محدودة من كتب الرحالة والمستشرقين وترجمتها ثم إصدارها في كتب مستقلة ليست هي الطريقة المثلى لخدمة العلم والتاريخ وإن كانت لا تخلو من الفائدة؛ لأن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، ولكن الأولى بالمراكز العلمية ترجمة الكتاب كاملاً وإتاحته للباحثين، خاصة إذا كان مرتبطاً بجزيرة العرب وتاريخها مثل كتاب كرايتون، والملاحظ أن العثيمين في ترجمته للفصلين من كتاب كرايتون اعتمد على الطبعة الأولى للكتاب، في حين أن المؤلف نشر الطبعة الثانية من كتابه في عام 1852م تحت عنوان (تاريخ جزيرة العرب وشعبها) وقد ضمنها معلومات إضافية عن جزيرة العرب، وهي الطبعة التي اعتمدتها هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة عندما نشرت كتاب كرايتون بشكل كامل في عام 2015م بترجمة هادي الطائي وتقديم أحمد السقاف، وهذا ما يجعلنا نؤكد وجود اختلاف في آلية الترجمة وأعرافها بين الجهات المهتمة بنشر العلم والثقافة؛ فهناك من يترجم فصولاً محدودة وهناك من يترجم كتباً كاملة!

الألماني هيس يجمع أسماء البدو

جوهن جاكوب هيس (1866ـ1949م) مستشرق ألماني عُني بلهجات البدو في داخل الجزيرة العربية، درس في جامعة شتراسبورج على يدي نيلدكه، وأقام في البلاد العربية عدة سنين واهتم خصوصاً بالبدو في وسط شبه جزيرة العرب: فدرس لهجاتهم وطرائق حياتهم وتفكيرهم، وكتب في ذلك كتاباً بعنوان: (من بدو قلب جزيرة العرب: حكايات وأغانٍ وأخلاق وعادات) 1938م، الذي تمت ترجمته ونشرته دار الوراق 2010م وقد أورد فيه شيئاً من ذكريات (موهق الغنامي) أحد بدو نجد المستقرين في مصر ، كما أن هيس أعدّ بحثاً في (لهجة نجد الحالية) عُرض في مؤتمر المستشرقين الذي عُقد في فيينا عام 1912م، كما نشر مقالتين عن اللهجة الدوسرية سُجّلت مادتها في الكويت، ويشير الشرقاوي في موسوعة المستشرقين إلى جمعه مواد غزيرة لوضع قاموس للهجات البدو في داخل الجزيرة العربية لكنه لم يطبع هذا القاموس وإن كان قد حرّره نهائياً، ولهذا المستشرق أيضاً بحث استقصائي عن رحلة داوتي إلى جزيرة العرب.

وسنتحدث هنا عن واحد من كتبه التي قدمها إلى أكاديمية هايد لبرغ للعلوم وطبع سنة 1912م وقد ترجمه محمود كبيبو إلى العربية تحت عنوان: (أسماء بدو من وسط الجزيرة العربية) ونشرته دار الوراق 2010م .

ويعتبر هذا الكتاب رغم ظرافته دليلاً على دقة ملاحظة هذا المستشرق واهتمامه

بدراسة الجزئيات وتحليلها، وهو عبارة عن معجم صغير لأسماء البدو بدأت فكرته عندما جمع المؤلف في صيف 1909م حوالي ثلاثمائة اسم من حضر نجد ـ حسب تعبيره ـ الذين كان يلتقيهم، ثم عمل على تدقيق هذه الأسماء مع بدو نجد وغربي الجزيرة، ثم أضاف إليها أسماء أخرى حتى وصلت إلى حجمها المطبوع.

وأما سبب وضع هذا المعجم – كما ذكر المؤلف – فهو الرغبة في إلقاء نظرة على طبيعة إعطاء الاسم لدى بدو الجزيرة العربية، ويشير إلى أن الأسماء الوارد ذكرها في أقدم الكتابات العربية ظهرت مرة بين هذه الأسماء البدوية الحديثة، ولذا فهو يتوقع فائدة لعمله في علم الكتابات العربية القديمة.

يتضمن هذا العمل بمعظمه أسماء شخصية لبدو من وسط شبه الجزيرة العربية، لكنه يحتوي أيضاً إلى جانب ذلك على بعض الأسماء لبدو من غربي شبه الجزيرة العربية ومصر ولبعض حاضرة القصيم. ويلخص المؤلف في كتابه طريقة إعطاء المولود اسمه عند الولادة في الحالات التالية:

1ـ استناداً إلى الظروف المناخية الخارجية المرافقة للولادة؛ فـ(ماطر) سمي بذلك لأنه ولد نهار المطر، و(صنيتان) سمي بذلك لأنه بقي في بطن أمه اثني عشر شهراً.

2ـ استناداً إلى الحالة النفسية للأم؛ فـ (موهق) سمي بذلك لأن أمه طلّقت قبل ولادته بعشرة أيام، و(زعلة) سميت بذلك لأن أباها طلّق أمها فعادت إلى أهلها وولدتها هناك وسمتها تبعاً لحالتها النفسية.

3ـ استناداً إلى زمن الولادة؛ فـ(رميضين) سمي بذلك لولادته في رمضان، و(محارب) لأنه ولد في زمن الحرب، و(فجرية) لولادتها في الفجر.

4ـ استناداً إلى مكان الولادة؛ فـ(نفيّد) سمي بذلك لولادته في نفود، و(وادي) ولد في أحد الوديان الصحراوية، و(رمثان) ولد في مكان اسمه الرميثي، و(بريدة) ولدت في بريدة.

5ـ استناداً إلى شكل الطفل؛ فـ(جليميد) سمي هكذا لأنه كان مستديراً كالحجر الدائري الصغير، و(خشيم) لأن أنفه كان كبيراً.

6ـ استناداً إلى الأمل المعلّق على الطفل فـ(جمل) سمي هكذا لأن أهله يأملون أن يصبح قوياً صبوراً كالجمل، وكذلك (ذيب).

7ـ استناداً إلى أسماء الأشياء دون أسباب واضحة ك(دلة) أو (صلبيخ).

8ـ استناداً إلى أسماء أطفال سابقين أو إلى اسم الأب، وقد يتم اختيار صيغة أخرى للاسم أو اختيار جذر مشابه؛ فماطر سمّى أولاده (ماطرة ومطيران)، وسُمي أخوا معجب (عجب وعجّاب)، وسُمي أخو سرور (ساير)، وسُمي أولاد عايض (عواض وعوض).

ويشير المؤلف أيضاً إلى حالة أخرى من طرق التسمية دون تفصيل، وهي التسمية استناداً إلى الظروف المصاحبة؛ فـ(شدّة) سُميت بذلك لأنها ولدت يوم الرحيل، و(مدّاد) سُمي بذلك لولادته أثناء المديد.

كما يشير المؤلف إلى أنه عند التقدم في السن قد يعطى الأشخاص أسماء مأخوذة من صفات بارزة أو من أحداث متميزة تحل شيئاً فشيئاً محل الأسماء السابقة؛ فـ(ناجي) سُمي بهذا الاسم بعد نجاته من مرض خطير ولم يكن اسمه الأول، و(العاتي) سُميت بذلك لوجاهتها واعتزازها بنفسها وقد كان اسمها (منيديبة)، وكذلك (قرادة) سُميت بذلك لأنها كانت تقفز على ظهر الجمل وتتشبث به كالقرادة.

ويؤكد أنه إضافة إلى الأسماء الحقيقية لكل شخص في الصحراء فهناك الألقاب والكنى، ويلمح إلى أنهم كانوا ينادونه بـ (أبي دالي) عطفاً على اسم ابنه.

آن بلنت أول امرأة أوروبية في ربوع نجد

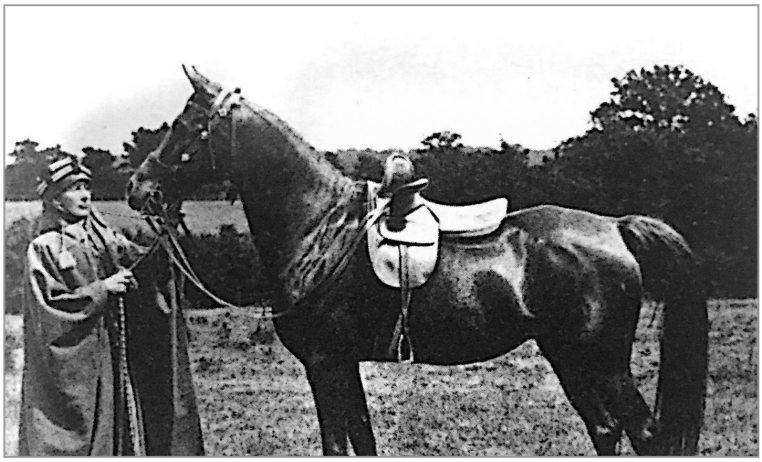

ما زالت كتب الرحلات معيناً للباحثين في تاريخ الجزيرة العربية، ولا شك أن الترجمة قنطرة حضارية لنقل الثقافة من لغة إلى لغة، ويعاني الباحث أحادي اللغة خاصة من قصور الترجمة العربية على الرغم من وجود بعض المشاريع والمبادرات الجميلة في مصر وسوريا ولبنان وأخيراً الإمارات بمشروع (كلمة) الرائد، ليس على مستوى الخليج بل على مستوى العالم العربي، والذي يسنده مشروع آخر هو سلسلة (رواد المشرق العربي) المتخصصة في الرحلات والتي ترجمت عدداً كبيراً من كتب الرحلات إلى الجزيرة العربية والرحلات عبر الخليج العربي، ومنها كتاب (حج إلى ربوع نجد: مهد قبائل العرب 1878 ـ1879م) للرحالة البريطانية آن بلنت التي كانت أول امرأة أوروبية تغامر باقتحام مفاوز صحراء النفود وتتحمل مشاق السفر ومخاطر الترحال على الإبل، حتى إنها تعرضت هي وزوجها إلى غزو كاد يكلفهما حياتهما.

وآن بلنت كما جاء في الكتاب سليلة أسرة نبيلة تميّزت بكونها أديبة تتقن فن الوصف والتشويق، وواقعية موضوعية ذات شخصية جذابة وفريدة، وكان زوجها ولفريد سكاون بلنت نبيلاً إنكليزياً رحّالة، مثلها تماماً، بل وشاعراً وديبلوماسياً كرّس حياته للشعر والأدب والسياسة.

لقد جمع الترحال والأدب والتعلق بالشرق والدراسات الشرقية بين الزوجين في رحلتين متتاليتين: الأولى إلى الجزيرة الفراتية وبادية الشام، ودوَّنت آن بلنت أحداثها

في كتاب (عشائر بدو الفرات)، والرحلة الثانية كانت إلى شمال نجد وجبل شمر، وسجلت أحداثها في الكتاب الذي أشرنا إليه قبل ذلك (حج إلى ربوع نجد). ولعل أول محاولة لترجمة هذه الرحلة إلى اللغة العربية ما قام به الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – في زمن مبكر؛ حيث نشر فصول من هذه الرحلة بترجمة محمد أنعم غالب على حلقات متتابعة في مجلة اليمامة في سنة 1380هـ/ 1960م على أمل جمعها في كتاب يضم ترجمة كاملة لتلك الرحلة، ولكن الترجمة لم تكتمل مما دفعه إلى جمع تلك الفصول التي ضمت خلاصة عن بلاد نجد لا تمثل بالكاد ربع الكتاب ونشرها في كتاب عنوانه (رحلة إلى بلاد نجد) وذلك ضمن منشورات دار اليمامة سنة 1386هـ/ 1967م.

وما بين ترجمة اليمامة للرحلة وترجمة سلسلة رواد المشرق العربي ربما يكون قد صدر عدة ترجمات أخرى، ولكن هذه الترجمة الأخيرة تضم ترجمة كاملة لرحلة بلنت إلى نجد، وألحق بها تتمة لرحلتها إلى إيران، مع ملاحق ولفريد سكاون بلنت عن جغرافيا شمال الجزيرة، وعن تاريخ الدعوة السلفية، ومشروع سكة حديد وادي الفرات، كما أضاف المترجم في سبيل تدقيق المعلومات الواردة في الكتاب فصلين آخرين؛ أولهما: عن السيرة التاريخية لعشيرة الرولة التي سافر الزوجان تحت حماية شيخها، والثاني: عن تاريخ آل عرّوج بتدمر، كما حقق المترجم أسماء الأعلام والأماكن وأرسان الخيل، واجتهد بنقل المفردات الطبوغرافية بمنطوقها البدوي، كذلك أرفق النص بمجموعة من الرسوم القديمة النادرة.

والحقيقة إن خدمة المترجم للكتاب لا تتوقف عند ترجمة النص التي يفترض فيها الدقة والأمانة، بل بما يضيفه أيضاً من أبعاد ومعلومات تخدم القارئ وتدل على معرفة المترجم وسعة اطلاعه وتخصصه فيما يترجم، وهذا ما تتميز به سلسلة رواد المشرق التي لا ينقصها إلا فهارس الأعلام والأماكن التي يجب ألَّا يهملوها في إصداراتهم القادمة.

وختاماً فإن رحلة بلنت رحلة شائقة كتبت بأسلوب ممتع وتضمنت معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الجزيرة العربية عموماً وفي شمال نجد خصوصاً، وهي معلومات مفيدة للباحثين والقراء على حد سواء.

البريطاني كامبل وحكايات من القبائل العربية

كتاب ألف ليلة وليلة الكتاب التراثي المشهور والمجهول المؤلف كتاب قصصي تتجلّى فيه جماليات السرد وربما يمكن تصنيفه ضمن الأدب العجائبي لاعتماده على الخيال الشهرزادي أساساً له. وعلى الرغم من ذلك فقد حظي بشعبية كبيرة لدرجة تدريسه في معظم الجامعات العربية، بل إن الغرب قد فتنوا بهذا الكتاب بصورة عجيبة تتماهى مع ما فيه من شطحات منسجمة مع الصورة النمطية للشرق في أذهانهم.

استفتحت كلامي بالحديث عن ألف ليلة وليلة لأني اطلعت على كتاب (حكايات من القبائل العربية) للبريطاني سي. جي. كامبل في نسخته العربية بترجمة عطية كريم الظفيري، وقد دوّن تحت العنوان الرئيس للكتاب عبارة (ألف ليلة وليلة من نمط خاص) مشكِّلة عنواناً فرعياً للكتاب؛ ولكني لا أدري هل هذا العنوان الجانبي موجود في الأصل أم هو من إضافة المترجم أو من إضافة صاحب التقديم محمد الأسعد الذي كان قدم للحكايات تقديماً رائعاً؟!

على أي حال يتضمن هذا الكتاب حكايات جمعها هذا المؤلف من القبائل العربية في الفرات الأعلى أثناء عمله العسكري في المنطقة العربية إبّان الحرب العالمية الثانية، وهو في الأصل يتضمن ست عشرة حكاية من المخزون الشفاهي للقبائل العربية في تلك المساحة الجغرافية، ولذا فهي تختلف عن المخزون الشفاهي والتراث القصصي للقبائل في وسط الجزيرة العربية.

وهذا الكتاب يظهر اهتمام الغربيين بأدبنا الشعبي، ومؤلفُه الذي كان يجيد العربية ولهجاتها الشعبية استمع إلى هذه الحكايات – كما أشار الأسعد – في بيوت الشَّعر على خلفية صوتية متنوعة اختلط فيها ثغاء الأغنام بصوت المضخات المائية التي دخلت حياة تلك القبائل لتوّها وكانت موضع تقديرهم لدرجة أنهم أطلقوا على أولادهم أسماء الماركات التجارية لهذه المضخات! وعلى أي حال هذا ما يؤكد أن هذه الحكايات ليس لها علاقة بالقبائل البدوية بل هي متعلقة بالقبائل الريفية، ويظهر في هذه الحكايات السرد الخيالي والسير الأسطورية كما في حكاية (البطل المقداد)، كما يلاحظ غلبة بيئة السيطرة العثمانية في تلك الحقبة التاريخية على أجواء الحكايات، التي يبدو أنها كانت في الأصل ست عشرة حكاية؛ ولكنها أصبحت في الترجمة العربية ثماني عشرة حكاية ولأنه ليس هناك أي توضيح من المترجم فلعل الحكاية التي كانت عن اختبار الأصدقاء التي رواها الشيخ سالم الصباح بتاريخ 12/ 10/ 1934م وحكاية الحطّاب والكنز التي رواها عبدالله فاضل ويليامسون بتاريخ 7/ 1/ 1935م جاءتا في غير النسخة التي اطلعنا عليها، وكان من ضمنها وصف لعادات الزواج القبلي لم نجدها في النسخة المترجمة، وكنت أتمنى من الأستاذ عطية الظفيري – وهو المترجم الذي أمتعنا بترجماته المتميزة لعدد من الكتب مثل مذكرات غلوب باشا أو كتاب بروس إنغام (قبيلة الظفير) – أن يتوّج هذه الترجمة بكلمة يوضح فيها طريقته لنجد إجابة عن تساؤلاتنا، ولكن هذا لن يمنع من التحليق الخيالي في أجواء حكاية السلطان علي وابنه، أو حكاية جهل العبيد الظريفة، أو حكاية شرف الرجل في شاربه، أو حكاية الراقصين ، وعبدالرحمن ولسانه الميت. وربما نتفق بعد ذلك على ربط هذه الحكايات بألف ليلة وليلة أو لا نتفق!

ألبرت سوسين صاحب أول ديوان
مطبوع من وسط الجزيرة العربية

يعتبر المستشرق الألماني والعالم اللغوي ألبرت سوسين (1899 - 1844)م من أوائل المستشرقين الذين اهتموا بجمع الأشعار والحكايات والأمثال الشعبية خلال جولاته في الشام والعراق في العقد الثامن من القرن التاسع عشر، ونشرت حصيلته الضخمة بعد وفاته، وذلك عام 1900م، في كتاب من حوالي ثمانمائة صفحة ويحتوي على مائة واثنتي عشرة قصيدة. وهو أول ديوان يطبع من الشعر النبطي مع ترجمات ودراسات لغوية وأثنولوجية مفصلة رغم أنه يثير الشكوك حول القيمة الفنية والجمالية لهذا الأدب ويتعامل معه باستعلاء شديد.

ذكر ذلك الدكتور الصويان في كتابه فهرسة الشعر النبطي، وأشار إلى أن ألبرت سوسين كان يتجول في الشام وبلاد الرافدين ويقوم بجمع الشعر من البلقا وحوران ودمشق وحلب وبغداد وسوق الشيوخ وحتى من ماردين على الحدود السورية التركية، وقابل في طريقه من دمشق إلى بغداد جملة من تجّار العقيلات الذين أرشدوه في بغداد إلى مهاجر من أهل بريدة اسمه (محمد) ويلقب بالأفندي؛ لأنه يجيد القراءة والكتابة. وأملى (محمد) على (سوسين) الكثير من القصائد التي كان يحفظها عن ظهر قلب، كما قابل سوسين شخصاً من عنيزة اسمه (مسفر) نقل عنه بعض القصائد لكن روايته لم تكن بجودة رواية (محمد). وكان (محمد الحساوي) هو الراوية الثالث الذي قابله سوسين في سوق الشيوخ ووصفه بالغباء وعدم الفهم، لكنه اكتتب منه بعض القصائد واشترى منه ديواناً مخطوطاً يحتوي على الكثير من القصائد. وفي ماردين جمع سوسين بعض النصوص الركيكة من فلّاح قال

إنه من قبيلة طيئ، ويقول سوسين إنه رأى الكثير من مخطوطات الشعر النبطي ومن ضمنها ديوان الشاعر نمر بن عدوان.

وأما الكتاب/ الديوان الذي نشره سوسين فقد سبق للأستاذ عبدالعزيز المضحي الحديث عنه بالتفصيل في صفحة تاريخ وحضارة من جريدة الرياض في العدد 13983بتاريخ الجمعة 14رمضان 1427هـ / 6 أكتوبر 2006م، حيث أشار إلى أن اسم الكتاب (ديوان من وسط الجزيرة العربية)، وأنه أول ديوان يطبع على الشعر النبطي في العالم، وأنه طبع في ثلاثة مجلدات؛ فالمجلد الأول من هذا الديوان يقع في 300 ورقة وقد حوى ما جمعه سوسين خلال رحلاته في الشام وبلاد الرافدين وبغداد من سوالف وقصائد أخذها من أفواه تجّار عقيل ورواة الأحساء في بغداد وما وجده من قصائد في ديوان نمر بن عدوان المخطوط الذي اطلع عليه، إضافة إلى قصائد المجاميع الثلاثة المخطوطة التي اشتراها الرحالة (شارل هوبر)، ومجموع الحساوي المخطوط الذي اشتراه سوسين من محمد الحساوي في بغداد، وقد شرح سوسين ما نشره في هذا الجزء من قصائد وقصص وعلّق عليها في الهامش باللغة الألمانية وترجم لبعض الشعراء والأعلام، وفي آخر هذا الجزء قدم سوسين شروحاً لمفردات وعناصر شعبية فلكلورية مثل: التمر والقهوة ونحوه، مع صور جميلة مرسومة يدوياً لبعض المفردات مثل الجمل والمحمل.

والمجلد الثاني: يقع في 146ورقة، وترجم فيه سوسين القصص والقصائد المنشورة في المجلد الأول باللغة الألمانية، وعرّف لما يقرب من 112شاعراً.

وأما المجلد الثالث، فيقع في 353 ورقة، وقدّم فيه المؤلف كشّافاً بمطالع القصائد الواردة في المجاميع الأربعة المخطوطة (هوبير والحساوي) وأسماء قائليها وبحر كل قصيدة، وكذلك قدم كشافاً آخر لقافية كل قصيدة في المجاميع الأربعة المذكورة ودراسة في أوزان وعروض وبحور القصائد الشعبية، وقائمة بالكلمات الشعبية الواردة في سوالف وقصائد المجلد الأول مشروحة باللغة الألمانية، وأخيراً قدم سوسين في نهاية هذا المجلد قائمة بأسماء وتراجم لبعض اللغويين من المستشرقين والمهتمين بدراسة اللهجات المحلية، وختم تلميذه هانس شتومه هذا المجلد بدراسة لغوية

أعدّها. وقد دعا المضحي في كتابته إلى ترجمة هذا الديوان مشيراً إلى وجود نسخة نادرة من هذا الديوان في متحف مكتبة الملك فهد الوطنية.

وكنت قد اطلعت قبل سنوات على دراسة ومختارات من كتاب ألبرت سوسين هذا قام بها الأستاذ أحمد فهد العريفي ونشرها في مجلة اليمامة.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب لكل باحث في تاريخ الجزيرة العربية وآدابها فقد قامت (منشورات الجمل) بألمانيا في نهاية 2007م مشكورة بإعادة طباعة الكتاب بصفته أول ديوان مطبوع للشعر النبطي كما أشرنا إلى ذلك؛ فقد طبع في عام 1900م الموافق للعام الهجري 1317هـ تقريباً.

ولاشك أن هذا الكتاب من المصادر الأصيلة للشعر النبطي التي يحرص عليها كل باحث في الأدب الشعبي ونسخه المصورة متداولة في أوساط الباحثين في نطاق ضيّق، ولذا فإن جعل هذا الكتاب في متناول الجميع بطبعة حديثة أمر في غاية الأهمية، وكنت أتمنى أن يصاحب هذه الطبعة تحقيق ومراجعة إذا علمنا أن طبعته الأولى كانت في زمن بعيد عن تقنيات الطباعة الحديثة، فهو في أصله مليء بالأخطاء الطباعية، ليس هذا فحسب بل هناك أخطاء كثيرة في النقل والرواية وأخطاء في الرسم والكتابة كان يجدر تصحيحها، إضافة إلى الملاحظات الأخرى، ولكن هذه الطبعة الحديثة لم تهتم بشيء من هذا بل اكتفت بطباعة نصوص الحكايات والقصائد كما كانت مكتوبة بالعربية بعد حذف الحواشي المكتوبة باللغة الألمانية، في حين لم تخل الطبعة من ملاحظات عديدة، ومن هذه الملاحظات:

1- تم تغيير اسم الكتاب الأصلي من DIWAN AUS CENTRALARABIEN:(ديوان من وسط الجزيرة العربية) إلى (ديوان الشعر النبطي للجزيرة العربية في القرن التاسع عشر) بدون إشارة إلى ذلك في أي موضع من الكتاب وهذا أمر مخالف للأمانة العلمية.

2- هذه الطبعة لم تشمل سوى المجلد الأول من الكتاب، ومن المعلوم أن الكتاب طبع في ثلاثة مجلدات، فكان من المفترض أن يشار إلى ذلك على غلاف الكتاب

فيكتب (المجلد الأول) حتى لا يتوهم القارئ أن ما بين يديه هو الكتاب بكامل أجزائه.

3- خلت الطبعة من شروح المفردات والعناصر الفلكلورية وصورها المرسومة يدوياً التي وضعها (سوسين) في آخر هذا الجزء من كتابه، ويبدو أن الناشر لم يعلم عنها.

4- لا يوجد في الطبعة أي مقدمة تذكر نبذة عن الكتاب وأهميته أو تبيّن على الأقل سبب إعادة طبع الكتاب أو تترجم للمؤلف ترجمة وافية، حيث تم الاكتفاء بترجمة مقتضبة للمؤلف في خمسة أسطر في بطن الغلاف الداخلي للكتاب وهذا مما يؤخذ على الناشر/ التاجر.

5- أهمل الناشر الفهارس؛ فلم يصحب هذه الطبعة الحديثة أي نوع كان من الفهارس رغم وجود الفهارس في الطبعة الأولى للكتاب، ولكن يبدو أن الناشر لا يرى ضرورة للفهارس فتجاهلها تماماً.

6- صاحب هذه الطبعة بياض وأخطاء وتصحيف في عديد من المواضع مثل (أنجال) في البيت الثاني من القصيدة رقم 1 وتحولت إلى (نجال) و(شلن) في البيت السابع من القصيدة رقم 25 تحولت إلى (سلن)، و(يفارق) في البيت السادس عشر من القصيدة رقم 33 تحولت إلى (يقارق)، وكذلك (الكبد) في البيت الثالث من القصيدة رقم 48 تحولت إلى (الكب) وغيرها كثير.

الكتاب جاء في 214صفحة من القطع العادي بطبعة حديثة واضحة، والحقيقة أن وضع هذا المصدر بين يدي الباحثين أمر يحسب للناشر، ولكني لا أريد أن تكون الصبغة التجارية هي الغالبة في إخراج المنتج الثقافي الذي يجب أن يستوفي ما يستحقه من الاهتمام بمؤلفه والتدقيق في مضمونه واستشارة المتخصصين في دراسته قبل طباعته ونشره.

الفرنسي شارل هوبر والشعر النبطي

من المعلوم أن المستشرق الرحالة الفرنسي شارل هوبر(1837 – 1884م) قام برحلتين لزيارة مناطق الجزيرة العربية، ومع أنه زار القريات والجوف وتبوك وتيماء والعلا ومدائن صالح والقصيم والحجاز، إلا أن حائل كانت مركز رحلتيه، وذلك في عهد إمارة محمد بن رشيد. وقد بدأت الرحلة الأولى سنة 1878م بينما بدأت الثانية سنة 1883م، وبقدر ما كان حجر تيماء هو أكبر الغنائم المعروفة التي حققتها رحلاته؛ فإن الباحثين في الشعر النبطي يحفظون له أنه جلب من الجزيرة العربية ثلاثة دواوين مخطوطة أودعها في مكتبة جامعة ستراسبورج تعتبر من أهم مخطوطات الشعر النبطي وأقدمها في الوقت الحاضر، بل يؤكد الدكتور سعد الصويان أن مخطوطات هوبير تمثل أقدم ما وصل إلينا أو ما استطعنا الوصول إليه من مخطوطات الشعر النبطي. وفي حين تتضمن إحدى المخطوطات الثلاث أشعار الشاعر عبيد الرشيد، فقد قام ألبرت سوسين في كتابه (ديوان من وسط الجزيرة العربية) بوضع فهرس بمطالع القصائد التي تحتويها المخطوطات الثلاث.

ورغم ذلك فإن هذه المخطوطات لم تنشر أو تحقق حتى الآن! مع العلم أنه يترجح أنها منسوخة في حدود منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لتضمنها قصائد شعراء عاشوا في تلك الفترة مع احتوائها على قصائد شعراء متقدمين على هذه الفترة. ويلاحظ أن هوبير من الرحالة القلائل الذين اعتنوا بالشعر النبطي

مثله مثل والين وفيتشتاين وسيتزين وسوسين وغيرهم. ولم يقتصر اهتمام هوبير بالشعر النبطي على إحضاره لتلك المخطوطات، بل إننا نجد في يومياته التي نشرتها جامعة تبوك السعودية بترجمة عبدالقادر محمود عبدالله في عام 2014م إشارات تؤكد أن الشعر النبطي كان من أولويات اهتماماته؛ حيث نلاحظ أنه عندما حضر أحد الشعراء المنتمين لفرع سنجارة من شمر وألقى قصيدة في مدح الأمير محمد العبدالله الرشيد طلب هوبير من الأمير مباشرة نسخة مكتوبة من القصيدة لرغبته في نسخها في يومياته، ثم أرسل في طلب (الخطيب) لضبط النسخة بالشكل وعندما أعلن الخطيب عجزه عن القيام بذلك لعدم معرفته بالشعر النبطي استعان هوبير بالشاعر المعروف حمود العبيد الرشيد ليرسل إليه من يعرف تشكيل العربية الدارجة فأرسل إليه كاتبه عيسى الذي كتب لهوبير نسخة مشكلة من تلك القصيدة النبطية.

ونلاحظ في يوميات هوبير أنه التقى بعدد من الشعراء والرواة والشيوخ والفرسان مثل حمود العبيد الرشيد وسالم بن فتنان وراكان بن حثلين وبرغش بن طوالة وزيد بن شفلوت وسند الربع وخالد أبوثلاثين وحسن بن مهنا وغيرهم، ولا شك أنه استفاد منهم بعض الأحاديث والقصص والأشعار والمعلومات، ومن ذلك استدلاله ببيت شعري نقله عن حمود العبيد لشاعر شمري قديم ذهب إلى العراق وعاد منه بعد وقت قصير مادحاً بلده الذي ليس فيه برغوث ولا بق:

البـــق والبرغـــوث قطّـــع لحمنـــا هنيـــا لكـــم يالـــلي بنجـــدٍ مْريحـــين

كما نقل عن مرافقه (نومان) أربعة أبيات متعلقة برحيل بني هلال من الجزيرة العربية استدل بها على تحديد بعض المواضع هي:

عشـــيّة عشّـــينا أدهـــم دبّ بْـــه الحيا تـــر خيلنـــا تشـــكي الحفـــا مـــن وعوره
وعشـــيّة عشّـــينا بعـــكّاش ياطـــب حمـــضٍ ومـــاء ماليـــاتٍ نحـــوره
وعشـــيّة عشّـــينا ضيـــاعٍ وضيعـــة لـــن ضيعـــة حيرانّـــا مـــن دروره
وعشـــيّة عشّـــينا مصـــادات ونقـــا ونشـــوف أجـــا مثـــل المبـــاني قصوره

وقد أشار إلى أن جبل أدهم هو جبل حبشي في وادي الرمة وجبل عكاش شمال ياطب وضياع اسم قديم لقنا ومصادات طعسان من الرمل شرق جبة.

وهكذا نلاحظ أن إدراك المستشرقين لأهمية الشعر النبطي في دراساتهم لمجتمع الجزيرة العربية في وقت مبكر قد حفظ لنا مدونات خطية تعتبر من المصادر النادرة للباحثين في هذا المجال، فلعل بني قومنا يدركون ذلك.

المستر أبوحنيك: الوجه الآخر

كان جون باغوت غلوب أو غلوب باشا أو أبوحنيك كما سماه البدو ضابطاً في الاستخبارات العسكرية ومترجماً للحكومة العراقية، ثم مفتشاً في الصحراء الجنوبية في الفترة من1340–1348هـ/ 1922– 1930م. وعمل خلال هذه الفترة على نشر بذور الفساد وإشعال الفتنة على الحدود بين السعودية والعراق، لدرجة أن الحكومة السعودية نشرت في تلك الفترة توضيحاً يشير إلى أن غلوب باشا لن تقرّ نفسه حتى يرى الحرب قائمة بين نجد والعراق! فقد كان يجمع الجموع ويرابط بقواه على الحدود بهدف إغواء القبائل السعودية في الخروج على الملك عبدالعزيز، بل يحاول تأليف قلوب القبائل البدوية للتأثير عليها وجعلها جسراً لغاياته الاستعمارية البغيضة. ولم يكتف بذلك بل جهّز القوى وبلغ بها المنطقة المحايدة لإذكاء حماس أهل نجد واستفزازهم وحملهم على النفير للقتال، ثم لم يلبث أن اقترح بناء المخافر العسكرية على الحدود، الأمر الذي توترت على أثره العلاقات بين نجد والعراق توتراً حاداً. وقد نشرت جريدة (أم القرى) – وهي الجريدة الرسمية للحكومة السعودية – تعليقاً على خبر تعيين مستر غلوب مفتشاً إدارياً في صحراء جنوب العراق بأنه يعتبر حاكماً لبر العراق! وأنه قد خصص له مبلغ 20 ألف روبية يصرفها على تحريض العشائر على الحدود!

وتشير المصادر إلى أنه بعد نهاية المحادثات المصاحبة لاجتماع الملك عبدالعزيز

بالملك فيصل ملك العراق على السفينة (لوبين) سنة 1348هـ/ 1930م، الذي عقد لتصفية الأجواء بين الدولتين الشقيقتين بعد أن كدرتها أعمال المستر أبي حنيك، سأل السيد همفرز المندوب السامي البريطاني في العراق الملك عبدالعزيز عما إذا كان يسمح بلقاء غلوب باشا (أبوحنيك) المفتش الإداري للصحراء الجنوبية في العراق الذي كان طلب الإذن بمقابلته، فرفض الملك ذلك بسبب موقفه الحانق عليه؛ حيث إن غلوب كان يعطي التفاصيل عن أماكن القبائل على الحدود إلى القوات الجوية البريطانية، مما مكنها من ضرب القبائل داخل الأراضي السعودية، ولأنه كان يمارس تأثيراً سيئاً على العراقيين، بل إن الملك كان يعتقد أنه يعمل ضد مصالح العرب واستقلالهم، ولكن بعد إصرار السيد همفرز أذن الملك لغلوب بمقابلته وتحادثا بعض الوقت، ولكن لم يتجاوزا المجاملة الرسمية التي لم يظهر فيها شيء من الألفة أو القبول؛ وقد نُقل أبو حنيك للعمل في نفس العام قائداً للجيش الأردني واستمر في ممارسة هوايته في إثارة الفتن مع القبائل على حدود السعودية مع الأردن!

والطريف هو المكاشفة الجريئة التي قام بها الشيخ عبدالعزيز التويجري رحمه الله (في كتابه لسراة الليل هتف الصباح) مع المستر أبي حنيك باشا حين زاره في قرية خارج لندن قبل وفاته بخمس سنوات، أي في عام 1981م، حيث سأله عن بعض مشايخ القبائل فتحامل على بعضهم، فقال له التويجري: إنكم قد استدرجتموهم وزينتم لهم الخروج على الملك عبدالعزيز. فنظر إليه وضحك ولم يعلّق بشيء! ولكنه قال للتويجري: أنتم يا عرب صحفكم تقول عني أني يهودي، (وش) بيدي إذا ظلموني! فسأله التويجري عن اليهود هل تجمعهم في فلسطين على عقيدة واحدة أو على قومية واحدة؟! فقال: لا هذه ولا تلك، هم في الأصل قوم غير متدينين؛ كما أنهم أناس ليس لهم قومية بل أجناس مختلفو الأصول واللغات والجذور. فسأله: وأنت ما دخلك بالعرب؟ قال: هم أصدقاؤنا ولنا معهم مصالح واعترف بأن الإنكليز هم الذين جاؤوا به من العراق إلى الأردن! في حين اعتبر التويجري وجوده في صحراء الأردن تآمراً على فلسطين.

حكاية التشيكي ألويس موزل
مع الشعر والشعراء

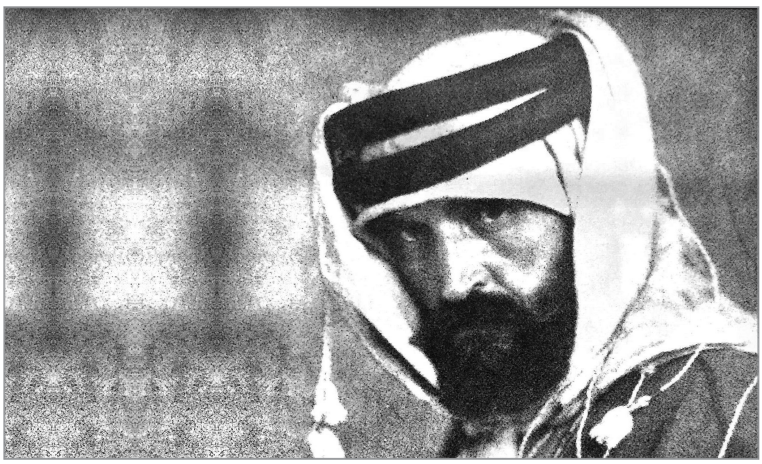

كان المستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس موزل (1285هـ / 1868م ـ 1364هـ/ 1944م) – أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة براغ خلال النصف الأول من القرن العشرين – من المستشرقين المتميزين في دراساتهم لأحوال الشرق، الذين تتسم أبحاثهم بالعمق والأهمية، وله عدة مؤلفات من أبرزها كتابه (شمال نجد) وكتابه (شمال الحجاز). وقد كان مولعاً بالبادية متحفزاً لدراسة البدو، هذا الأمر أدى به إلى أن يتجشم الصعاب ويتحمل قسوة العيش في الصحراء بعد أن يمّم وجهه نحو عشيرة الرولة الشهيرة ولبث فيهم وتردد عليهم مدة تصل إلى ثمان سنوات؛ درس خلالها كل ما يمت إلى حياتهم بصلة، وسجل معلومات شاملة حول موضوعات كثيرة لها علاقة بحياة البادية على وجه العموم ضمنها في كتابه (أخلاق الرولة وعاداتهم) الذي نشر في نيويورك سنة 1347هـ/ 1928م وترجمه الدكتور محمد سليمان السديس ونشر في طبعتة الأولى عام 1415 ثم الثانية عام 1417هـ. وقد عرف هذا المستشرق باسم الشيخ (موسى الرويلي)، وكانت له علاقات قوية مع شيوخ القبائل وأعيانها؛ لفت نظري في ترجمة كتاب موزل قصيدة طريفة لأحد أبناء البادية يمدح فيها هذا المستشرق ويثني عليه؛ ربما لأنه أذهلهم بسعة اطلاعه وتنوع معارفه، وأعجبهم بتصرفاته التي كان يجاري فيها أبناء الصحراء. جاء في القصيدة:

ابـــدي بذكـــر الله عـــلى كل نيـــة رب كريـــمٍ عـــالم بالخفيـــات

يـــا راكـــب مـــن فـــوق حمـــراً ثنية ... حرّة هميمـــة مـــن ركاب الـــشرارات
مـــا ســـامها الـــشراي بعـــداد مية ... ولا نوّخـــت للشـــيل دومٍ معفـــاة
مرباعهـــا باطـــراف نجـــد العذيـــة ... ترعـــى زهـــر نـــوار ورد الذوابـــات
فوقـــه شـــداد والميـــارك زهيـــة ... وســـفايفه لـــب البريســـم حليـــات
(تمـــد) مـــن بيـــت علومـــه طرية ... الشـــيخ شـــيال الحمـــول الثقيلات
مـــن بيـــت أبـــو نـــواف ذيـــب السرية ... زيـــزوم مجلـــس كاســـبين الجـــالات
فوقـــه غـــلامٍ مـــا يهـــاب الدويـــة ... يوصـــل كلام لديـــار بعيـــدات
اليـــا لفيـــت ديـــار هـــاك الســـمية ... (أبـــد البشـــارة ورد منـــي ســـلامات)
قـــل حـــرٍّ لفى مـــن عندكـــم لـــه نوية ... نجم شـــبيه ســـهيل مـــا به غبـــارات
بـــاج البـــلاد العامـــرة والخليـــة ... بعقـــلٍ رجيـــحٍ ما يهـــاب العســـيرات
الشـــيخ موســـى (الـــلي) علومـــه شـــفية ... حافـــظ علـــوم مـــن دهـــور مزمنات
مـــا جابـــت الخفـــرات مثلـــه حليه ... ولا لـــه شـــبيه (في) شـــيوخ البـــداوات
حاكـــم وزيـــر عـــارف كل شـــية ... ولا لـــه مثيـــل كـــود أبازيـــد بصفات
حلـــو المثايـــل (والكفـــوف) الســـخية ... شـــبيه حاتـــم ما يهـــاب الخســـارات
ســـنّه ضحـــوك وجرعتـــه باســـلية ... فـــرز القناصـــل والمشـــاور صعيبـــات
ليـــث غضنفـــر مايـــداني الرديـــة ... درعـــا حســـينا يذخرونـــه لعـــازات
وإن يـــسر المـــولى وزانـــت النيـــة ... لازم يجيكـــم بعلـــوم مثمنـــات
علـــوم البـــوادي وحضرهـــا والرعيـــة ... ديـــار الرولـــة فدعـــان وأرض العـــمارات
وديـــار نجـــد والفـــروع الخليـــة ... مـــع ديـــرة الصـــوان وأرض الحويطـــات
هـــذي أفعـــال الـــلي خصالـــه وفية ... كنـــز الفخـــر بحر النـــدى والمـــروات

وتعطينا هذه القصيدة انطباعاً عن سماحة أهل الجزيرة العربية وقبولهم للآخر والتعامل معه بغض النظر عن عقيدته أو اتجاهاته الفكرية ؛ كما نأخذ منها تصوراً عن كون (الكرم والشجاعة) ثنائية تتمحور حولها بقية الصفات النبيلة عند البدوي؛ فلم يستطع هذا البدوي تجاوز هاتين الصفتين في مدح هذا المستشرق. بقي أن نعرف أن قائل هذه القصيدة هو الشيخ النوري بن هزاع الشعلان بمساعدة موظفه (جواد) الذي تلاها على المؤلف، وهذا يفسر بعض الخلل في الوزن الذي حاولنا تعديله في بعض الأبيات. قال الشيخ حمد الجاسر عن موزل (رحالة غربيون في بلادنا 260): «وحظي لدى النوري بمنزلة ليدعوه (أخاه) وليعهد إليه بالاتصال عنه لدى بعض حكام العرب ... حتى إن النوري قال في مدح صاحبه قصيدة بالغ في وصفه فيها بصفات تدل على المنزلة عنده ...» .

ومن القصص الظريفة حول الشعر والشعراء التي ذكرها (ألويس موزل) أو (الشيخ موسى) كما تسمّى، في كتابه (في الصحراء العربية) حكاية (مزعل أخو زعيلة) الذي كان دليله في إحدى رحلاته في شمال الجزيرة العربية سنة 1325هـ/ 1326هـ – 1908/ 1909م؛ فهذا الدليل ما انفك متباهياً أمام موزل بشاعريته وبأنه لم يبق شيخ من شيوخ القبائل أو الزعماء لم يزره مؤلفاً قصيدة عصماء في مدحه ، حيث استمر يردد على أسماع موزل القصيدة تلو القصيدة بنبرة غنائية وصفها موزل بأنها تشبه طريقة تلاوة المزامير عند النصارى! (يبدو أن أخا زعيلة كان يهيجن وهو على ظهر الذلول)!

ويتهكم موزل بأخي زعيلة الذي لم يكن يغنّي إلا الكلمة الأولى والكلمة الأخيرة من البيت، ويمد الأخيرة ويزينها برعشات مختلفة، وكان يلفظ الكلمات الأخرى بسرعة، ولا يشدّد إلا على الكلمات الأكثر أهمية.

وكان أخو زعيلة يكرّر الأشعار التي كانت تروق له وترضي ذوقه خمس مرات أو عشراً، وكان كثيراً ما يطالبه موزل بالتوقف عن ترديد هذه الأشعار التي سمعها مرات كثيرة من قبل (حتى الخواجة اندبلت كبده)! ولكن ذلك التصرف أزعج أخا زعيلة كثيراً لأنه لم يحترم مواهبه الشعرية المتدفقة وقدراته الأدبية الخارقة التي لا مثيل لها

بين الشعراء الأحياء بل وبين الشعراء الأموات، حيث لا يتفوق عليه إلا الشاعر نمر بن عدوان بسبب نظمه للقصائد الطويلة، والمصيبة أن أخا زعيلة لم يكن يتوقف عن إلقاء الشعر إلا لسرد الحكايات (البايخة)!

ويتحدث موزل عن مزعل أخي زعيلة فيصفه بالمتطفل عندما أخبره بأنه قد نظم قصيدة يمدح فيها أرملة أحد الشيوخ وأم بعض الشيوخ ووصفها بالكرم والشهامة!

فتعجبت أشد العجب كيف يعيد التاريخ نفسه بعد أكثر من مئة سنة! وكأنه تم استنساخ أخي زعيلة في طفرة جينية أخرجت نماذج مطوّرة من نسخة السيد مزعل؛ فالشعراء الجوالون أصبحوا لا يتنقلون بين الشيوخ وذوي المكانة الاجتماعية في البلد الواحد فحسب، بل أصبحوا يتجولون على مستوى دول الخليج وربما أبعد من ذلك! وفيما أخو زعيلة لا يمدح إلا ذوي المكانة الاجتماعية ذكوراً وإناثاً أصبح شعراء القرن الواحد والعشرين يمدحون أثناء جولتهم كل من هب ودب وحتى من لم يدب! وأما هرطقات الأفضلية الشعرية فشعراؤنا الجوالون الذين لا شك في تطفلهم المتجذر ما زالوا يرددونها على الملأ وعلى شاشات القنوات الفضائية الشعبية – ولكنهم لا يعترفون حتى لنمر بن عدوان بالأفضلية كما اعترف له أخو زعيلة! من هنا – وحفظاً لحقوق الأموات الفكرية – فأقترح أن يلقب كل شاعر جوّال بـ(أخي زعيلة)، ولا تستغربوا بعد ذلك إذا استحوذ عدد الحاصلين على اللقب خانات الآحاد والعشرات والمئات!

مقتل الإنجليزي بالمر في الصحراء

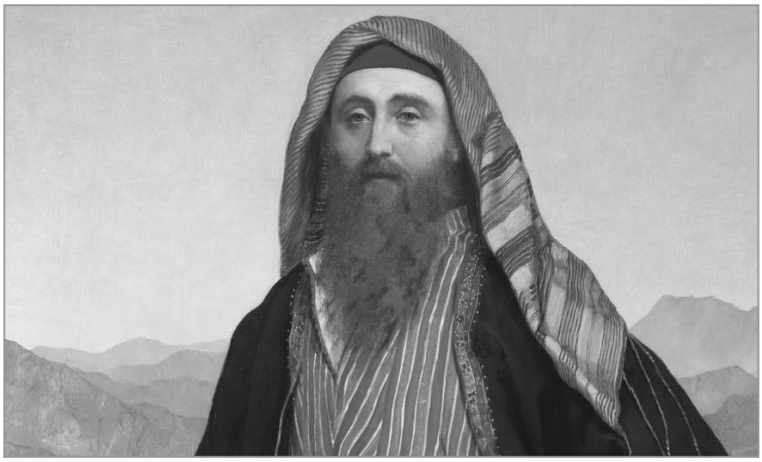

للمستشرقين دور رائد في اكتشاف الصحراء العربية وتوثيق تاريخها في عصور كانت فيها مجهولة للكثيرين وتعيش في عزلة عن العالم الآخر، وبالرغم من تباين غايات هؤلاء المستشرقين إلا أننا نتفق أنهم تكبدوا العناء وعرضوا أنفسهم للأخطار في سبيل ذلك، بل إن هناك من فقد حياته نتيجة لذلك، ومن أشهرهم على سبيل المثال العالم الألماني (الريخ زتسن) والفرنسي (شارل هوبر) والإنجليزي (وليام شكسبير) وكذلك (جيرارد ليتشمان) فهؤلاء وغيرهم كانوا من ضحايا الاستشراق رغم اختلاف اتجاهاتهم وأهدافهم.

وسنتحدث هنا عن أحد علماء المستشرقين الذي ولج الصحراء باحثاً وخرج منها عالماً ولكنه عاد إليها جاسوساً فلم يخرج منها أبداً، هو المستشرق الإنجليزي (إدوارد هنري بالمر) الذي شارك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ضمن هيئة لاكتشاف فلسطين، وكان يستعين بالبدو في معرفة أسماء الأماكن في شبه الجزيرة العربية، كما عني في الوقت نفسه بتسجيل عادات البدو وأعرافهم، وقام برحلة أخرى عام 1870م وأصدر كتاباً عن هذه الرحلة يظهر أنه لم يترجم حتى الآن ، وقد عيّن بعد ذلك بسنة أستاذاً في كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج. إلى هنا وسيرة بالمر طبيعية، ولكن يشير عبدالرحمن الشرقاوي في موسوعة المستشرقين إلى أنه عندما أخذت بريطانيا سنة 1882م تدبر لاحتلال مصر دعي للاستفادة من خبراته

في سيناء واتصالاته بأهلها من قبل لكي يتصل ببدو سيناء ويؤلبهم، فوافق على هذه المهمة التي لا تليق بعالم، فسافر إلى الإسكندرية ومنها إلى يافا ثم توجه إلى غزة والتقى أحد شيوخ العرب واسمه (سليمان) ليتجه إلى السويس ويتصل بقبائل سيناء، ليصل إلى مضارب الشيخ سليمان الذي كان الرجل الذي يبحث عنه، ثم تعرف إلى شيخ بدوي يدعى (مطر أبوصوفية) فاستخدمه لإرسال رسائل إلى السويس وعمل على شراء الجمال للجيش البريطاني، وكتب في إحدى رسائله أنه يستطيع شراء وتجنيد 50 ألفاً من البدو مقابل 20– 30 ألف جنيه .

ورغم أنه كان يلبس اللباس العربي ويظهر كأحد رجال البدو إلا أن ذلك لم ينجه من مصيره المحتوم، فقد سافر في أحد الأيام ومعه أربعة أشخاص إضافة إلى أبوصوفية وابن أخيه سلامة بن عايض وعدد من الجمالين، وكان بعض البدو قد نصبوا كميناً لهم واقتادوهم إلى وادي سدر وقتلوهم وألقوا بهم في وادٍ سحيق، وذلك في 20 أغسطس 1882م فكانت نهاية مستحقة لمستشرق انحرف عن المهمة الحقيقية للعالم.

الهولندي مارسيل كوربرشوك
سفير البدو للعالم

الدكتور مارسيل كوربرشوك دبلوماسي هولندي عمل في سفارة بلاده في المملكة العربية السعودية ثم انتقل إلى المعهد الهولندي للدراسات الاستراتيجية، ومنه ممثلاً لبلاده في مقر الاتحاد الأوروبي في بروكسل خلال الفترة 1990 – 1994م، ثم عاد إلى وزارة الخارجية في لاهاي لمدة 8 سنوات عمل خلالها أيضاً أستاذاً في جامعة لايدن؛ حيث أنشأوا كرسياً خاصاً له لمدة خمس سنوات، وبعد أحداث 11 سبتمبر كان أول سفير لهولندا في أفغانستان ثم انتقل بعدها إلى باكستان، وفي عام 2005م عيّن سفيراً لبلاده في أنقرة ومنها انتقل سفيراً في وارسو، وفي عام 2013م أصبح مبعوثاً خاصاً للقضية السورية مقيماً في اسطنبول ثم تقاعد في نهاية 2014 م ليعمل بعد ذلك في جامعة نيويورك في أبوظبي بهدف استكمال بحوثه ودراساته في الشعر النبطي.

وهو في الأصل باحث متخصص في الأدب العربي ورسالته للدكتوراه كانت عن يوسف إدريس، ولكنه اشتغل بعد ذلك بالبحث في آداب الصحراء العربية وثقافتها، وذلك عندما عمل في سفارة بلاده في الرياض؛ ففتح نافذة جديدة للاستشراق في آخر القرن العشرين، ولكنه يختلف عن غيره من الباحثين لشغفه المتواصل بهذه الثقافة واستغراقه فيها إلى درجة كان يستلذ فيها حرارة الصحراء وسمومها ويسافر مئات الكيلومترات في سبيل تسجيل قصيدة أو كتابة معلومة أو لقاء شاعر أو سؤال راوية، مفضلاً أن يمضي وقته في مرابع البدو على روابي هولندا الخضراء، حتى تمكن

إلى درجة كبيرة من فهم الشعر النبطي واستيعابه، وربما تفوق في تحليله واستلهام مدلولاته أكثر من بعض أبناء الصحراء. لم يكن ما كتبه عن الدندان أول أبحاثه كما لم يكن تأليفه عن شليويح العطاوي آخرها، وها هو يطرح ضمن ندوة الشعر النبطي في القرن الـ 21 التي نظمتها جامعة نيويورك في أبوظبي 2015م ورقة عن الشاعر النبطي عبدالله بن سبيل أسهب فيها في تحليل ملامح شعره وبيئته كنموذج للشعر الوجداني الرائع، وهو عازم على إخراج كتاب عن ابن سبيل وترجمة شعره، كما يعتزم دراسة وترجمة شعر حميدان الشويعر، وقد ألقى بعد ذلك محاضرة في الرياض نظمها مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية عن (مفهوم الصدق في الشعر النبطي) من خلال تجربته مع الشاعر الدندان الذي لقبه بـ(البدوي الأخير) ، وقد التقيته أولاً في ندوة أبوظبي ثم في محاضرة الرياض، فكان لي معه هذا الحوار الطويل للوقوف على آرائه وأفكاره:

* رغم بعد المسافة بين حدود (الربع الخالي) وأطراف (نفي) فإن المقاربة بين صورة الناقة وصورة الأنثى في قلب ابن الصحراء العربية قد تختصر المسافة بين الدندان وبين ابن سبيّل فيتماهى شعر البادية وشعر الحاضرة وجدانياً؛ ما تعليقك؟

– الحقيقة أن حبي للشاعر عبدالله بن سبيّل ودراستي لشعره بسبب وصفه للبدو، فهو مثلي يحب البدو ولولا مقيظ البدو على (نفي) ما اشتهر شعر ابن سبيل، مع العلم أن شعره ووصفه للمرأة يتشابه مع شعر ووصف، شعراء البادية؛ فمثلاً هو يقول في إحدى قصائده:

كن اللوالو بين أشافيه منظوم أو ضيق وبل محلتم في قنوفه
والعين عين اللي على راس ملموم ما جيب له من كل نسر علوفه
حرش المناكب لأبرق الريش صيروم حر ملك موت الحباري كفوفه
أبو نهيد في حشا الصدر مزموم بيض الحمام اللي رفاع قوفه
هافي حشا كنه عن الزاد محروم والثوب يشكي ما نبا من ردوفه
والزين في مقرن حجاجيه مرشوم رشمة مهر شيخ شبع في مضوفه

يـا جاعـلٍ مـوت المخاليـق محتـوم قـرّب مداهيـل العنـود الهنوفـه

وهذه الأوصاف الشعرية كلها موجودة في شعر البادية بكثرة والأمثلة على ذلك كثيرة، والحقيقة أني أتفق مع قولك بالمقاربة بين صورة الناقة وصورة الأنثى؛ فهذا أمر يلاحظه الدارس للشعر النبطي في الجزيرة العربية ولاحظته في شعر الدندان؛ حيث شبه ناقته بالفتاة الجميلة حيث قال:

بكـرتي خبّـي عسـاك الله مجـارة جـارك الله مـا يجـي رجلـك حفـاتي
العبـي للجـري في حامـي قـراره لعـب غرثـان البنـي المترفـاتي
لعـب رسـمة يومهـا في البيـض شـارة فرقهـا جـورٍ عـلى شـقح البنـاتي
عينهـا عـين أسـمرٍ حقـق مطـاره في طويـلات الرجـوم النايفـاتي
دامـل صـافي عفـاره بالصفـارة والجدايـل للـردوف منقضـاتي
والمناكـب مثـل ممطـور الزبـارة والنهـود مـن الجبـين مزبـراتي
والردايـف مثـل شـطٍّ في حـوارة بـين ضيريـن عليهـا مهمـلاتي

وشبه حديث المحبوبة بحليب الناقة في قوله:

حلـو كلام العـذب زيـن التعاجيـب يـا زيـن في عـشره صفيـف الخواتيـم
أيَّ العسـل وأيَّ حديثـه ليـا ذيـب أحـلى حديثـه مـن حليـب المشـاحيم

وأنا أؤيد هذه الرؤية وخاصة عند البدو، فالبدو يحبون الإبل وهي عندهم محور الجمال، ولا يلامون في ذلك؛ فالجمل ليس غبياً كالثور مثلاً بل هو في غاية الذكاء، كما أنه لا أحد يتصور العرب أو تاريخ العرب بدون الصحراء والإبل، وإذا كنت أحب العرب فيجب أن أحب الإبل أيضاً.

وأما ابن سبيّل فيمتد اهتمامي به إلى عام 1989م حيث سجلت في بلدة نفي من أحد رواة قبيلة عتيبة نصوص أربع قصائد هي من أجمل قصائد بن سبيل، إضافة إلى قصيدة فيحان بن زريبان؛ والقصائد هي (يا راكب من عندنا صيعريات) و(يا راكب

عشر من الهاربات) وقصيدة (يا ذعار أنا قلبي هذا العام حوله) وقصيدة (يا العين وين أحبابك اللي تودين)، ثم انشغلت بأبحاثي عن الدندان وشليويح العطاوي وعتيبة والدواسر، ولم أتفرغ لإكمال عملي عن ابن سبيل؛ ولكني أكملته بعد التحاقي بجامعة نيويورك في أبوظبي هذا العام. وقد كتبت هذه القصائد الأربع وترجمتها وصحّحت اللغة وكتبت مقدمة عن تجاربي في نفي، والعجيب أن هذه القصيدة (يا راكب من عندنا صيعريات) موجودة في كتاب موزل عن الرولة، وكذلك 10 أبيات من قصيدة ابن زريبان المرتبطة بها، وموزل سجلها في شمال الجزيرة العربية. وقد لاحظت أن نص القصيدة الذي سجله خالد الفرج ومصادر أخرى وما سجلته أنا أصح من نص القصيدة الذي سجله موزل قبل 100 سنة والذي يفترض أن يكون أقرب للرواية الصحيحة، ولكن لأنه سجله في الشمال بعيداً عن بيئة الشاعر في وسط الجزيرة فقد تعرض للتغيير والاختلاف. وسينقسم مشروعي الجديد الذي أعمل عليه الآن إلى مجلدين؛ أحدهما يتعلق بابن سبيل، والآخر بحميدان الشويعر إضافة إلى مجلد ثالث يكون قاموساً مفهرساً للألفاظ الواردة في شعرهما مقارنة بمعاجم اللغة العربية الفصحى.

* ما سر هذا الشغف والارتباط الروحي الذي يعيشه مثقف أوروبي بحجم الدكتور مارسيل مع الصحراء العربية؟ هل هو سحر الشرق الذي سلب ألباب كثير من الرحّالة والمستشرقين فيما مضى أم هو عشق سرمدي لم ينفك ملازماً لك؟

– لعلي أحدثك عن بداية اتجاهي لدراسة الشعر النبطي التي تمتد إلى أيام عملي دبلوماسياً في سفارة بلادي في الرياض؛ ففي أول أيام العمل فتحت إحدى الصحف ورأيت صفحة الشعر الشعبي وكنت أقرأ الألفاظ في هذه القصائد وأحاول فهمها، وبحكم تخصصي فإني أعرف الشعر العربي الفصيح وكنت أفهم بعض الكلمات في القصائد النبطية، ولكن كلمات أخرى كثيرة كنت لا أفهمها، وهذا الأمر أثار فضولي جداً، مع العلم أني كنت حقيقة أحب حياة البادية والصحراء؛ لأن فيها إحساساً بالحرية والانطلاق في مسافات بعيدة؛ فهذه بيئة مناسبة للتأمل والتفكير، فقلت لنفسي: إن هذا المجال مجال مهمل عند الباحثين

في هولندا وفي أوروبا وفي العالم؛ فمن الممكن بوجودي في هذه البيئة أن أقدم شيئاً في المجال المعرفي من خلال ميدان بحثي جديد، فسألت الناس عن كيفية فهم هذا الشعر ودراسته، فأشاروا إلى الدكتور سعد الصويان، فاتصلت به وكان أستاذاً في جامعة الملك سعود، فشجعني وقدم لي كل المساعدة.

الأمر الآخر أني شعرت كدبلوماسي وباحث أن هذا الشعر فعلاً قريب إلى النفس؛ فهو يعبر عن البيئة الصحراوية وعن عواطف الناس، والناس يحبونه لأن هذا الشعر يتحدث عن حياتهم اليومية وعن تاريخهم وعن قبائلهم وعائلاتهم وعن كل الأشياء التي يعيشها الإنسان في حياته اليومية ويهتم بها، كما أنهم يحبون الذي يهتم بهذا الشعر، فرأيت أن الشعر النبطي سيمنحني فرصة للاقتراب من المجتمع السعودي، وهو مجتمع متنوع ومتعدد ولكل جزء منه خصوصيات إقليمية ولغوية وتاريخية، وكل ذلك لا يحفظه إلا أبناء البيئة ذاتها، وقد ذكرت في كتابي عن شليويح العطاوي أن شعراء عتيبة يقولون قصيدة بلهجتهم الخاصة فيرد عليهم شعراء قحطان بلهجتهم الخاصة أيضاً؛ فلكل قبيلة لهجتها الخاصة المميزة لها.

والحقيقة أن الشعر النبطي فتح لي الباب إلى القلوب والعواطف؛ أي قربني من الناس، بينما معظم الدبلوماسيين يبقون بعيدين كل البعد عن المجتمع السعودي بحيث يكونون منعزلين في الحي الدبلوماسي بدون أن يختلطوا بالناس إلا في مناسبات محدودة. وبالفعل فقد أصبح لدي أصدقاء سعوديون كثيرون وعندي شبكة من العلاقات مع رجال عديدين من كل القبائل والمناطق الذين استفدت منهم مزيداً من المعرفة في هذا الموضوع.

*** يا ضاق بالي قلت دنوا ذلولي حطوا عليها كورها والقراميش**
حطوا عليها كورها وارخصوا لي نبي نمضّي وقتنا بالمطاريش

بعد مرور كل هذه السنوات الطويلة ماذا بقي من ذكريات (حمرة) بين قلب مارسيل كوربرشوك وعقله؟

– ما زلت أحتفظ بصورة سيارتي (حمرة) عند جبل (حومل)، وقد وضعتها في كتابي

لأنها ذكريات لا تنسى؛ فهي التي ساعدتني في دراسة جنوب الجزيرة العربية الذي كان مجالاً بكراً في تلك السنوات بعكس الشمال الذي كان مدروساً أكثر. وقد قررت هذه الأيام السفر إلى حائل للالتقاء بصاحب القصيدة الشاعر والراوية رضا طارف الشمري، الذي يقولون إنه (على جال لينة في النفود) وذلك لزيارته وسؤاله عن قصائد شاعر اسمه (جهويل من آل بحيح من آل نابت من آل مرة) الذي أورد له الصويان قصيدة في كتابه الصحراء العربية، وهو من الشعراء الذين سجل معهم في مهرجان الجنادرية ولكنه للأسف لم يسجل أي معلومات أو عناوين لهذا الشاعر، وله قصيدة جميلة تعبر عن حياة آل مرة في الربع الخالي. وقد اتصلت قبل فترة بالمهندس سالم المري عضو مجلس الشورى سابقاً لأستفسر عن الشاعر ولكن (ما أدري) يبدو أنه لا يحب الشعر النبطي، كما أني أبحث عن صديقي (بخيتان بن ضافي) الذي فقدت الاتصال به وإن شاء الله يأتي رد على التغريدة التي تستفسر عنه والتي نشرها مركز الملك فيصل في حسابه على تويتر، ولعلي أراه مرة أخرى وأستعيد معه الذكريات الجميلة.

* هل انقرضت البداوة في جزيرة العرب برحيل البدوي الأخير أم إن للبداوة أبعاداً حاضرة لا يمكن اندثارها؟

– جوهرة اللغة مشتقة من حياة البادية حتى الحاضرة متأثرين جداً بالماضي البدوي وحياة الصحراء؛ فلا يمكن تصور إنسان الحضارة العربية بدون البداوة والحياة في الصحراء، والصحراء العربية هي بؤرة القيم منذ قديم الزمان؛ فالقيم أو الشيم العربية تنبع من عمق الصحراء مثل البئر فلا حياة في الصحراء بدون ماء.

فمثلاً الماء عندنا في هولندا خصم لنا بسبب كثرته وفيضانه؛ فنحن نبني السدود للتغلب على خصومة الماء، هنا في الصحراء العربية العكس؛ فالماء مسألة حياة أو موت ، وأنت ترى في اللغة العربية كثيراً من، الألفاظ والكلمات التي تتعلق بالبئر وعمليات البئر مثل الورود والصدور والإبل (ترد وتصدر)، وأنت ترى أن هذه الألفاظ ترتبط بها مصطلحات حديثة مثل الصادرات والواردات والإيراد والمصادرة وما شابها؛ فكلها مشتقة من عمليات البئر، وكلمة السقي مأخوذة من الاستقاء من البئر، فحتى العرب الذين عاشوا حياتهم في الحواضر مثل القاهرة وبغداد هي جزء لا

يتجزأ من لغتهم اليومية لكن يستعملونها بدون وعي بمصدرها. فالجزيرة العربية منبع العروبة وبالذات وسط الجزيرة والصحاري الواسعة، لكن ليس الصحاري الخالية مثل الربع الخالي، فالبيئة في وسط الجزيرة في تحدٍّ دائم للإنسان الذي يعيش فيها فيتغلب على مصاعبها بوسائل مثل الإبل والسلوم والتعاون والتعايش وربما الغزوات المتبادلة التي يكون القتل فيها بصفة عامة محدوداً جداً . فأرى أن للبداوة والصحراء أبعاداً أكبر من النمط المعيشي.

ولعلنا نتساءل: هل البداوة شقاوة أو سعادة؟

وهي كما قال الدندان أحياناً تسبب البؤس والاكتئاب وخاصة في وقت الجدب والمحل، أما في حال الخصب والربيع فتكون سعادة لا يعادلها سعادة، وهذا هو الجميل؛ فإن الإنسان لو لم يكن هناك أضداد في حياته فإنه لن يشعر بشعور السعادة أبداً؛ فأنت لا تعرف طعم السعادة حتى تجرب البؤس والشقاء، وهذه نعمة؛ فلولا الشقاوة ما عرفنا السعادة.

والشعر البدوي تعبير جميل عن هذه البيئة والحياة فيها والتحديات التي تواجهها وكيف يتغلب الإنسان على هذه التحديات؛ ففلسفة الحياة في هذه الصحراء عميقة جداً في الدين وفي المعرفة ولكن هذا الشعر قريب من قلب الإنسان لأنه يعكس الحياة اليومية التي يعيشها. فالشعر النبطي يعبر عن البيئة والمجتمع مثله مثل الشعر الفصيح القديم بعكس الشعر الفصيح الحديث الذي أصبح مجرداً، بعيداً عن واقع الناس.

* بماذا تفسر الموقف السلبي الذي تقفه بعض الدوائر والنخب العلمية والثقافية في العالم العربي من الآداب الشعبية عموماً والشعر النبطي خصوصاً؟

– نلاحظ أن هناك تخوفاً غير مبرر من تفكك الهيكل الوحدوي بصفة عامة؛ فالوحدة مفهوم مهم في الدولة سواء الوحدة السياسية أو الدينية أو غيرها، ولو قرأنا التاريخ لوجدنا أن غياب السلطة المركزية يؤدي إلى مزيد من الصراعات المستمرة بين البلدان أو القبائل، ولو تأملنا تاريخ ابن بشر مثلاً أو شعر حميدان الشويعر لوجدنا كثيراً من الشواهد على ذلك؛ فالتوحيد السياسي خطوة مهمة تؤمن للمواطن حياته، وهذا أمر مفهوم ولكن أساس هذا الخوف فهم مغلوط؛ لأن الخوف من تشجيع

الآداب الشعبية أو دراسة الشعر النبطي واللهجات يؤدي إلى نتائج سلبية، بل إن الاعتراف الرسمي بهذا الخوف وأنه قد يؤدي إلى الفرقة أو تدهور اللغة الفصيحة أمر عجيب؛ لأن الخوف الحقيقي هو زوال التراث واندثار الهوية، هذا هو الخطر الحقيقي؛ لأن ذلك تاريخ أجدادك ومن خلال تاريخ أجدادك وتراثهم تعرف نفسك؛ فكل واحد يجب عليه الاهتمام بتاريخ أجداده وتراثهم حتى وإن كان لا يخلو من السلبيات، وربما نحن أيضاً لدينا سلبيات في بعض الأوجه فيكتشف ذلك أحفادنا بعد 100 سنة مثلاً؛ فلا يوجد أحد معصوم، فلا بد لنا أن نتعلم ونتعرف جذورنا، فهناك أجيال وأجيال عاشت في هذه الصحراء حياة الفروسية والكرامة و(الناموس) حتى مع وجود بعض الأمور السلبية، والرحالة في القرون القريبة سجلوا كثيراً من مشاهدتهم في الصحراء العربية، والدكتور عوض البادي مثلاً يعتزم الذهاب إلى هلسنكي في فنلندا ليبحث عن أوراق الرحالة (والن) لأن فيها شيئاً من تاريخ الجوف. فإذا كانت كتابات الرحالة مصدراً مهما للتاريخ فإن التراث الشفهي في الجزيرة العربية مصدر كثير الأهمية، وأنا من حبي لحياة البادية وسلوم العرب جمعت هذا التراث وحرصت على تسجيله لأنه من الناحية العلمية مفيد جداً. كما أن هناك شخصيات استشراقية كثيرة خدمت الثقافة الشفهية، ولكن يظل (ألويس موزل) في كتابه عن الرولة بدون نظير؛ فهو دقيق للغاية، وهو رائد من رواد تدوين الآداب الشفهية، وهناك سوسين الذي ربما يكون سبقه ولكن لديه أخطاء كثيرة.

* الشعر النبطي ذلك الأفق الذي يعكس صورة صادقة لمجتمع الجزيرة العربية في تمرحله التاريخي برأيك ما مدى الاستفادة منه في الدراسات الاجتماعية العربية وغير العربية لهذا المجتمع؟

- قال أحد الشعراء:

البخنق اللي تفصله طرقتيني دون الشفايا والثمان المناظيم

ففي هذا البيت وما يليه من أبيات وصف دقيق لزينة المرأة في مجتمع الجزيرة العربية وفي البادية خصوصاً، وهذا مجرد نموذج من آلاف النماذج على فائدة الشعر النبطي في الدراسات الاجتماعية. وهناك جهود مشتتة هنا وهناك غير منظمة؛ فهناك

آلاف الدواوين الشعرية لم يتم الاستفادة منها على الوجه المطلوب لعدم وجود دراسات أكاديمية على أساس متين ولعدم وجود دور نشر للدراسات الأكاديمية، كما لا يوجد أعمال مترجمة من اللغات الغربية. وعلى سبيل المثال فعملي ذو المجلدات الخمسة الذي من الممكن أن يفيد الباحثين لم يترجم إلى اللغة العربية. إلى هذا اليوم، ولكن يبدو أن السبب هو الخوف الذي سبق أن أشرنا إليه؛ فهناك معارضة في الاهتمام بهذا الموروث لأسباب دينية أو سياسية، وفي الإمارات هناك تقدم أفضل في الاهتمام بالموروث ولكن أولوياتهم للموروث الإماراتي وهذا أمر طبيعي.

* مارسيل الدبلوماسي بعد تقاعده هل سيتحول سفيراً للبدو في هولندا أم سيكون بدوياً هولندياً في صحراء العرب؟

– أنا لا أنكر قوميتي ولا أتخلى عنها؛ فأنا هولندي وأحب هولندا، ولا يمكن أن أكون بدوياً هولندياً ولا سفيراً للبدو في هولندا، ولكن يمكن أن أكون سفيراً دولياً للبدو في جميع أنحاء العالم؛ فلدي استعداد للذهاب إلى اليابان أو الصين على سبيل المثال لأتحدث عن البدو والبداوة هناك، خاصة أن عدد الخبراء في الموضوع قليل وأنا نشاطي الأكاديمي دولي لا يقتصر على بلد واحد سواء هولندا أو غيرها.

ومن الطرائف أن بعض البدو سألوني: (أنت منين يا مارسيل؟) فقلت: من هولندا. فقالوا: هولندا (وين؟) وكنا في الليل فقلت: (حط الجدي على كتفك الأيمن وبعد 250 شدة تصل هولندا حيث بادية الأبقار). فوصلت الفكرة إليهم وتصوروا موقعها البعيد. فأنا بشكل عام أكاديمي دولي ينتمي لقبيلة هولندا حسب مفهوم البدو.

* كيف يستفيد القارئ العربي من إنتاجكم العلمي؟ ولماذا أهم كتابين قمت بإنجازهما عن شليويح العطاوي والدندان الدوسري مازالا بلغة غير عربية؟! أم إنك في الأساس قد وجهتهما للقارئ الأوروبي ولذا لم تحرص على ترجمتهما إلى العربية؟

– الحقيقة أنني أشعر بالخجل لأني أخذت الكثير من أهل هذا البلد وما رددت لهم شيئاً، وكما أشرت سابقاً لم أجد من يهتم بترجمة أعمالي باستثناء (البدوي الأخير)

الذي نشرته إحدى دور النشر، وهو ليس بحثاً أكاديمياً ولكنه ربما يتضمن قصة البحث، وأنا لدي استعداد للتعاون مع أي مؤسسة أو دار نشر ترغب في ترجمة هذه المجلدات الخمسة وسأساعدهم بكل جدية في ذلك. وإذا تحدثنا عن الجهد والتكاليف في ترجمة هذا العمل فإنه بالمقارنة مع تمويل المشاريع الثقافية الأخرى ستكون أمراً بسيطاً جداً، والعمل جاء تحت عنوان موحد هو (FROM CENTRAL ARABIA ORAL POETRY AND NARRATIVES) خصصت المجلد الأول منها للدندان وصدر في عام 1994م، والمجلد الثاني لشليويح العطاوي وآخرين وصدر في عام 1995م، أما المجلد الثالث فخصص لشعراء الدواسر الأربعة: ابن بتلا والدندان ونابت بن ظافر وبخيتان بن ضافي وصدر في عام 1997م، أما المجلد الرابع فجمعت فيه مأثورات من قبيلة الدواسر وصدر في عام 2002م، وأخيراً المجلد الخامس الذي صدر عام 2005م، وهو عبارة عن قاموس يغطي المجلدات الأربعة وكل الكلمات الواردة في القصص والقصائد وقد ربطتها بلسان العرب، وهذا المجلد مفتاح للمجلدات الأخرى لتضمنه فهارس متكاملة لها.

* دراساتك عن القبائل العربية وعاداتها وتقاليدها ولهجاتها هل تتجه إلى استكمالها كمشروع علمي مستمر بعد دراساتك السابقة لملامح عن قبيلة عتيبة وقبيلة شمر وقبيلة الدواسر؟ وما مدى أهمية مثل هذه الدراسات؟

– القصص والقصائد والسوالف والمرويات الشفهية نسيج متشابك يغطي أجزاء الجزيرة العربية؛ فنحن نحتاج إلى خريطة كاملة لهذه السوالف والقصص مربوطة بالأماكن لكي نصنع صورة دقيقة من التاريخ النجدي العربي في المنطقة؛ خريطة تاريخية دقيقة مبنية على المأثورات الشفهية والأدبية والثقافية مثل كتاب الصحراء العربية الذي يعتبر منطلقاً في هذا الشأن، إلا أن الدكتور سعد لا يهتم بالنواحي الجغرافية لكن أنا مهتم بالمعجم الجغرافي وأحاول أن أربط الجغرافيا بالشعر.

* تربطك علاقة وثيقة بالدكتور سعد الصويان إلى درجة أن يهديك أحد أعماله واصفاً لك بـ(رفيق الدرب)؛ فلعلك تحدثنا عن هذه الصداقة المتينة وعن مكانة

الصويان العلمية المرجعية في دراسات الشعر النبطي خصوصاً وفي ثقافة الصحراء العربية عموماً؟

الحقيقة أنني كنت البادئ بالإهداء اعترافاً بفضله في مساعدتي؛ حيث كتبت له في الجزء الثاني من كتابي الصادر 1995م ما نصه:

To Saad A. Sowayan

My guide into the world of Arabian oral tradition

وقد أهدى إليّ بعد ذلك كتابه (الشعر النبطي: ذائقة الشعب وسلطة النص) قائلاً: «إلى رفيق الدرب، من قهر مسافات الجغرافيا واللغة إلى الصديق العزيز مارسيل كوربر شهوك».

فشكراً له، وهذا نوع من تبادل المودة والتقدير بين أصحاب الاهتمام المشترك أو رفقاء الدرب الواحد. والدكتور سعد له مكانته العلمية المرجعية العالية في هذا التخصص. وقد بدأت علاقتي به منذ ربع قرن، أي منذ عام 1989م تقريباً، واستمرت إلى اليوم، والجميع يعرف أن الصويان باحث جاد جداً، ولذا فقد كان في البداية متردداً في الاستثمار في شخصي؛ لأنه لا يدري عن مدى جديتي واهتمامي، ولا يريد أن يخسر وقته الثمين مع غير الجادين، ولكن بعد أن رأى مثابرتي وحرصي أقدم على مساعدتي بكل أريحية وتواضع وبدون تحفظ، ثم إن كتبه ستظل مرجعاً مهماً لكل المتخصصين في دراسة الشعر النبطي خاصة ودراسات الصحراء العربية عامة.

الفهـــارس

الأعــلام

آن بلنت: 25، 27، .28 (من 103 - 106)

آندرو كرايتون : (من 93 – 107).

الشيخ إبراهيم = بوركهات

إبراهيم باشا: 66.

إبراهيم العورة: 16.

أجاثا كريستي: 25.

أحمد إيبش: 43،36،49،53.

أحمد فهد العريفي:115

الإخوان المسلمون : 44.

إدوارد هنري بالمر : 135.

الاستخبارات البريطانية: 125.

ألبرت سوسين: (من 111 – 120)، 146.

الريخ زتسن :135.

ألكساندر الأول (قيصر روسيا):19.

ألويس موزل: (من 127 – 132) 142 - 146

الأمم المتحدة : 44.

اللورد أنبره : 26.

أنديانا جونز :43.

أنطوان قيقانو :16.

أوتينغ : 46.

إيرل بريستول : 26.

إيزابيل إبرهارت : 47.

إيزابيل بريتون : 25.

ابن بتلا: 148.
بخيتان بن ضافي: 144،147.
السير برسي كوكس المفوض السامي البريطاني في بغداد: 38
برغش بن طوالة:120.
بروس إنغام: (من 29 – 33).
ابن بشر:145.
المس بل: 38.
بورغشتال (مستشرق ألماني) :19.
بوركهارت: 20،54،93.
بول هاريسون: (من 57–59).
بيرتون:54.
تيمور لنك:32.
جفوسكي = فاتسواف سيفيرين جفوسكي.
جهويل (شاعر من آل بحيح): 144.
جواد (موظف الشيخ النوري بن هزاع الشعلان): 131.
جون باغوت غلوب: 76، (من 123 – 126).
جون فيلبي: 38، (من 73 – 83).
جوهن جاكوب هيس: (من 97 – 101).
جيرارد ليتسمان : 135.
جير ترد بل : 25،47،48.
جيمس بوند : 43.
جين دغبي: 11، (من 23–28).
حجر تيماء :119.
حسن ساتي:80.
حسن بن مهنا:120.
حسن الهضيبي:44.
حمد الجاسر:106،131.

حمود العبيد الرشيد:120.
حميدان الشويعر: 140،142،145.
أبوحنيك = جون باغوت.
خالد جون فيلبي: 77.
خالد أبوثلاثين:120.
خالد الفرج: 83،167.
داوتي: 38،48،54.
الدعوة السلفية: 106.
الدندان الدوسري: 147،148،149،150.
دوروتيا لينكه = كونتس موليتور.
دوغلاس كاروثرز: 11 – (من 35 – 39).
الدولة السعودية الأولى: 65 – 93).
راكان بن حثلين: 120.
رضا طارف الشمري: 144.
روبن بدول: 88.
الشيخ زايد الكبير: 54.
زيد بن شفلوت: 120.
سالم الصباح: 110.
سالم بن فتنان: 120.
سالم المري: 144.
الليدي ستانهوب = الليدي هستر ستانهوب.
سعد الصويان: 113،119،143،144،145،149.
الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي: 51.
سلامة سليمان = هربرت بريتسكه.
سلامة بن عايض: 136.
سلطان بن سطام الطيار: 48.
سليمان (أحد شيوخ العرب): 136.

سند الربع: 120.
سنوك هورخرونيه: 39.
سوسين = ألبرت سوسين.
سيتزين: 120.
سي جي كامبل: 109.
شارل هوبر: 117 – 121.
شركة بيتر: 75.
شركة تنمية النفط بعمان: 71.
شركة سنجر: 76.
الشركة الشرقية: 76.
شركة فورد: 76،78.
شركة النفط البريطانية: 71.
شركة النفط العراقية: 69.
شليويح العطاوي: 140،142،143،147،148.
صبري فالح الحمدي: 75.
صموئيل مارينوس زويمر: (من 51–55)
الأمير طلال بن عبدالله الرشيد: 88.
عبدالرحمن الشرقاوي: 135.
عبدالعزيز التويجري: 126.
الملك عبدالعزيز بن سعود: 38،75،76،80،81،82،125،126.
عبدالعزيز المضحي: 114،115.
عبدالقادر محمود عبدالله: 120.
عبدالله بن رشيد: 32.
عبدالله بن سبيل: 140،141،142.
عبدالله العثيمين: 93،94،95.
عبدالله فاضل ويليامسون: 110.
عبدالله فيلبي = جون فيلبي.

عبيد الرشيد: 119.
عطية الظفيري: 32، 33،109،110.
الملك علي بن الحسين: 75.
عوض البادي: 146.
غلوب باشا = جون باغوت.
فارس جون فيلبي: 77.
فاتسواف سيفيرين جفوسكي: 11 (من 16–21).
فايولت ديكسون: 47.
فرايا ستارك: 25،47.
فريد الزاهي: 66.
الليدي فورتلي مونتاغو: 25.
فولف دتيريش: 44.
فيتشتاين: 120.
فيهان بن زريبان: 141.
الملك فيصل (ملك العراق): 144.
فيكتور فونطانيي: (من 63–66).
فيلبي = جون فيلبي
الشاعر الفيحاني: 59.
القلقشندي: 15.
كاترين دوفورتمبرغ (ملكة روسيا): 19.
كارستن نيبور: 93.
كلابروت (مستشرق ألماني): 19.
كورانسيز: 93.
لورنس العرب: 38،76،80.
ليتشمان: 38،135.
مارسيل كوربرشوك: (من 137 – 149).
مايكل كوينتين: 70.

مايك مورتون: (من 67-71).
مايلز: 88.
الشيخ مجول المصرب: 26،27.
محمد الأسعد: 109.
محمد أفندي (مهاجر من بريدة): 113.
محمد أنعم غالب: 106.
محمد البسام: 48.
محمد بن عبدالله آل زلفة: 87،88.
محمد الحساوي (راوية سوسين): 113،114.
محمد بن رشيد: 119.
محمد سعيد الخلادي: 66.
محمد سليمان السديس: 129
محمد العبدالله الرشيد: 120.
محمد علي باشا: (من 21-66).
محمود حسن: 16.
محمود الذخيرة: 25،28.
مزعل أخو زعيلة: 131،132.
مسفر (رجل من عنيزة): 113.
مطر أبوصوفية (أحد البدو): 136.
المقريزي: 15.
مكتب السجلات والأرشيف القومي البريطاني: 78.
الشيخ موسى الرويلي = ألويس موزل.
موليتور (الكونتيسة ماليناتي): 11، (من 45 - 49).
موهق الغنامي: 99.
نابت بن ظافر: 148.
الشيخ نافع بن فضيلة: 78.
نمر بن عدوان: 114،132.

النوري بن هزاع الشعلان: 131.
نومان (مرافق تشارلز هوبير): 120.
نيبور: 54.
نيلدكه: 99.
هربرت برتيسكه: (من 43 – 44).
الليدي هستر ستانهوب: 20 – 25.
همفرز (المندوب السامي البريطاني في العراق): 126.
هناء صبحي: 20.
هوبير = شارل هوبر.
والين: 120.
ولفريد ثيسجر: 69،70.
ولفريد سكاون بلنت: 105،106.
ويليام جيفورد بلجريف: 54 (من 85 – 89).
ويليام شكسبير (مستشرق): 38،135.
الإمام يحيى حميد الدين: 78.
يوسف إدريس: 139.

الأماكن والبلدان

أبوظبي: 51،53،54،66،70،139،140،142.
الاتحاد الأوروبي: 139.
الأحساء: 44،87،114.
أدنبرا: 93.
الأردن: 76،126.
أرك: 26.
إسطنبول: 139.
الإسكندرية: 136.
الإسماعيلية: 43.
أفغانستان: 31،32،139.
أكاديمية هايدلبرغ للعلوم: 99.
ألمانيا: 11،43.
الإمارات: 105،147.
أميركا: 11،14،37،81.
إنجلترا: 66،69.
أنقرة: 139.
أوروبا: 143.
إيران: 31،106.
بادية الشام: 27،28،105.
باريس: 26،39.
باكستان: 139.
البحر الأحمر: 65،66.
البحرين: 53.54.55.

بروكسل: 139.
بريتسكة:11.
بريدة: 11،25،77،80،81،135.
بريطانيا: 25،77،80.
البريمي: 55.
بسيطا: 38.
البصرة: 53.
بغداد: 38،113،114،144.
البقاع: 69.
بلخ: 32.
البلقا: 113.
بندر عباس: 66.
بودلي: 20.
بورسعيد: 48.
بوشهر: 66.
بولندا: 10،20.
بومباي: 66.
بيروت: 16،47،48.
تبوك: 119،120
تدمر: 20،26،48،106.
تركيا: 65.
تشيكوسلوفاكيا: 10.
تيماء: 38،119.
جامعة تبوك: 120.
جامعة ستراسبورج: 119،126.
جامعة كامبردج: 135.
جامعة لايدن: 139.

جامعة الملك سعود: 143.
جامعة نيويورك أبوظبي: 139،140،142.
جامعة واريديك: 71.
جبل أدهم: 121.
جبل حومل: 134.
جبل عكاش: 121.
جبة: 121.
جدة: 11،13،48،66،75،76،78،82.
الجزائر: 48.
الجزيرة الفراتية: 105.
الجوف: 38،88،94،146.
حائل: 85،119.
حلب: 27،220.
الحجاز: 94،119،129.
حضرموت: 78،81.
حقل نفط بوحصا الكبير – أبوظبي: 70.
الحماد: 48.
حمص: 26،27.
الحناكية: 48.
حوران: 113.
الخليج العربي: 53،59،63،65،105.
دارة الملك عبدالعزيز: 59،93.
دارين: 55.
دبي: 54.
الدرعية: 21،94.
دمشق: 26،27،28،28،38،48،113.
الدهناء: 48.

الربع الخالي: 11،38،48،79،140،144،145.
الرس: 48.
الرميثي: 100.
روسيا: 11،19،20.
الرياض: 87،114،140،142.
الزلفي: 48.
ساوثهامبتون: 48.
سبأ: 78،79.
سدير:32،87.
السعودية: 31،43،44،59،65،75،76،77،78،79،81،87،120،125،126،139.
سوريا: 20،69،105.
سوق الشيوخ: 113.
السويس: 65،136.
سيناء: 136.
الشارقة: 54،55.
الشام:13،19،21،26،27،28،105،113،114.
صحار: 54.
الصحراء الجنوبية: 125.
الصحراء الكبرى: 48.
صنعاء: 94.
الصين: 65،147.
ضياع (اسم قديم لقنا): 121.
الطبيق: 38.
ظفار: 69.
عدن: 66،69،78.
العراق: 31،59،66،69،113،120،125،126.
العلا: 119.

عُمان: 43،59،60،69،70.
غزة: 136.
الفرات: 66،106.
فرنسا: 11،66.
فلسطين: 43،44،69،126،135.
فنلندا: 146.
فيينا: 43،99.
القاهرة: 44،66،144.
قرداحة: 69.
القريات: 119.
القسطنطينية: 20.
القصيم: 32،87،100،119.
القطب الشمالي: 54.
قطر: 31.
القطيف: 55،87.
كربلاء: 38.
الكويت: 31،99.
السفينة (لوبين): 126.
لاهاي: 139.
لبنان: 15،43،69،105.
اللحية (في اليمن): 94.
لنجة: 54.
لندن: 31،37،47،48،126.
ماردين: 113.
متحف اللوفر – باريس: 39.
متحف مكتبة الملك فهد الوطنية: 115.
مدائن صالح: 119.

المدينة المنورة: 48،49،94.
مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية: 140،144.
مزار شريف: 32.
مسقط: 48،53،55.
مصادات طعسان: 121.
مصر: 13،14،15،43،65،66،99،100،105.
معان: 38.
المعهد الهولندي للدراسات الاستراتيجية: 139.
مكة المكرمة: 13.94.
ناميبيا: 48.
نجد: 20،21،28،32،33،103،120.
النفود: 11،37،38،105.
نفي: 140،142.
النمسا: 19.
نورفولك: 26.
الهفوف: 44.
هلسنكي: 146.
الهند: 65،81.
هولندا: 10،139،143،144،147.
وارسو: 139.
وادي الرمة: 121.
وادي سدر: 136.
وادي الفرات: 106.
وادي المنصف: 26.
اليابان: 147.
ياطب: 121.
يافا: 136.
اليمن: 32،54،66،94.
ينبع: 94.

القبائل والأمم

آل بحيح: 144.
الدواسر: 142،142.
قبيلة الرولة: 106،129،142،146.
سنجارة من شمر: 120.
قبيلة الشرارات: 38.
قبيلة شمر: 88،120،148.
الطوارق: 48.
طيئ: 114.
الظفير:32،39،110.
عتيبة: 44،141،143،148.
آل عرّوج: 106.
العقيلات: 113.
عنزة: 32،48.
الفرس: 15.
قحطان: 143.
قبيلة آل مرة: 32،144.
عشيرة المصرب: 26.
قبيلة مطير: 32.
آل نابت: 144.
بنو هلال: 120.
الهنود الحمر: 31.
قبيلة الولد علي: 48.

الوقائع والأحداث

ثورة حلب (1819م): 21.
الحرب العالمية الأولى: 37،48،76.
الحرب العالمية الثانية: 43،69،81،109.
الحرب اليمنية (1934م): 38.
حصار جدة (1926م): 75.
سقوط الدرعية (1818م): 21.
مؤتمر المستشرقين: 99.
مهرجان الجنادرية: 144.

الكتب والمطبوعات

(أخلاق الرولة وعاداتهم) ألويس موزل، ترجمة محمد سليمان السديس: 129.
(أربعون عاماً في البرية) – جون فيلبي: 78.
(أسماء بدو من وسط الجزيرة العربية) جوهن جاكوب هيس – ترجمة محمود كيبو: 99.
ألف ليلة وليلة: 109،110.
انطباعات عن الشرق وشبه الجزيرة: جفوسكي – ترجمة د. هناء صبي – أبوظبي: 20.
(أيام عربية) – جون فيلبي: 78.
(البدوي الأخير) – مارسيل كوربرشوك: 140،147.
(بلاد رأساً على عقب) – صموئيل مارينوس زويمر: 53.
(بنات سبأ) – جون فيلبي: 78،79.
تاريخ الجبرتي: 16.
(تاريخ جزيرة العرب قديماً وحديثاً) آندروكرايتون – ترجمة د. عبدالله العثيمين: 93.
(تاريخ جزيرة العرب وشعبها) آندروكرايتون – ترجمة: هادي الطائي وتقديم أحمد السقاف: 95.
(تاريخ سليمان باشا العادل) – إبراهيم العورة: 16.
جريدة أم القرى: 82،125.
جريدة الرياض: 114.
(جزيرة العرب: مهد الإسلام) – صموئيل مارينوس زويمر: 53.
(جون فيلبي والبلاد العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز بن سعود 1915–1953م) صبري فالح الحمدي: 75.
(حائل في كتابات الرحالة ويليام بلجريف) ترجمة د. محمد بن عبدالله آل زلقة: 87.
(حج إلى ربوع نجد: مهد قبائل العرب 1878–1879م) – آن بلنت: 105،106.
(حكايات من القبائل العربية) – سي جي كامبل: 109.
حكاية (البطل المقداد): 110.
حكاية جهل العبيد: 110.

حكاية الحطاب والكنز: 110.
حكاية السلطان علي وابنه: 110.
حكاية عبدالرحمن ولسانه الميت: 110.
الخواجا والأفندي (مقال) عبداللطيف فاخوري – جريدة اللواء اللبنانية: 15.
(ديوان من وسط الجزيرة العربية) ألبريت سوسين: 114،115،119.
(رحالة غربيون في بلادنا) – حمد الجاسر: 131.
(رحلات إلى الشرق) فيكتور فونطانيي: 66.
(رحلات متعرجة في بلاد الإبل) صموئيل مارينوس زويمر – ترجمة أحمد إيبش: 53.
(رحلة إلى أرخبيل الهند) فيكتور فونطانيي – ترجمة محمد سعيد الخلادي، مراجعة فريد الزاهي: 66.
(رحلة إلى الخليج العربي عبر مصر والبحر الأحمر) – فيكتور فونطانيي: 65.
(رحلة إلى الشرق ما بين 1831–1832) فيكتور فونطانيي: 66.
(رحلة إلى المدينة المنورة عبر قلب البادية): كونتس موليتور – ترجمة أحمد إيبش – هيئة أبوظبي للثقافة: 49.
(رحلة داوتي إلى جزيرة العرب) بحث جوهن جاكوب هيس: 99.
زنبقة الوادي (رواية) – بلزاك: 26.
(الصحراء العربية) ألويس موزل: 131.
(الصحراء العربية) الصويان: 144،148.
سحر الشرق (مسلسل): 26.
سلسلة (رواد المشرق العربي): 37،44،53،105،106.
(الشعر النبطي: ذائقة الشعب وسلطة النص) – سعد الصويان: 149.
(شمال الحجاز) ألويس موزل: 129.
(شمال نجد) ألويس موزل: 129.
صبح الأعشى: 15.
الطبيب البدوي – رواد المشرق العربي – هيئة أبوظبي للثقافة والتراث 2011: 44.
(طبيب في الجزيرة العربية) بول هاريسون: 59.
عاشق البادية الإنجليزي – عطية بن كريم الظفيري: 31.
(العرب في ديارهم) بول هاريسون ترجمة محمد منير الأصبحي – دارة الملك عبدالعزيز: 59.
(عشائر بدو الفرات) – آن بلنت: 106.

(فهرسة الشعر النبطي) سعد الصويان: 113.
(في قلب الصحراء) – مايكل كوينتين: 70.
(قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) أحمد أمين: 14.
قاموس لهجات البدو داخل الجزيرة العربية (لم يطبع) جوهن جاكوب هيس: 99.
(قبيلة الظفير) بروس إنغام، ترجمة عطية الظفيري: 32،110.
(قصة عبدالله فيلبي من وثائق المخابرات البريطانية، 1929–1948)، ترجمة: حسن ساتي – دار جداول للنشر والترجمة – بيروت: 80.
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة نجم الدين الغزي: 15.
(السراة الليل هتف الصباح) عبدالعزيز التويجري: 126.
(لهجة أهل نجد) – بروس إنغام: 31.
(لهجة نجد الحالية) – جوهن جاكوب هيس: 99.
اللهجة الدوسيرية (مقال) جوهن جاكوب هيس: 99.
الماتان (صحيفة): 82.
مجلة اليمامة: 106،115.
مذكرات غلوب باشا: 110.
(المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت)، د. مسعود سعيد عمشوش: 79.
(معجم الكلمات الدخيلة) – العبودي: 13.
(مغامرة جزيرة العرب: عبر صحراء النفوذ، بحثاً عن الوضيحي)، دوغلاس كاروثرز – ترجمة د. أحمد إيبش – أبوظبي: 37.
(مفهوم الصدق في الشعر النبطي) محاضرة مارسيل كوبر شوك: 140.
(من بدو قلب جزيرة العرب: حكايات وأغانٍ وأخلاق وعادات) جوهن جاكوب هيس، ترجمة دار الوراق: 99.
المنوليا في دمشق وأحاديث أخرى، ألفة الإدلبي: 26.
موسوعة المستشرقين للشرقاوي: 99،135.
(وصف رحلة سنوات خلال وسط وشرق الجزيرة العربية) ترجمة: د. محمد بن عبدالله آل زلفة: 87.
(يوميات تشارلز هوبير) ترجمة عبدالقادر محمود عبدالله: 120.
from central arabia oral poetry and narratives: 177.

الشعر

صدر البيت	القافية	الصفحة
تصميم شركة (كلهان) الخواجات	ونصبه	14
الحمد لله ربي	فلبي	84
لكن منهم أديباً	ولبِّ	84
وذاك نصر عظيم	حرب	84
ومن كفلبي غنم	كسب	84
والناس قالوا وقالوا	وحب	84
يا راكب اللي صممته الولايات	تصبه	14
يقول ناقشت فلبي	بقلبي	84
ابدي بذكر الله على كل نية	بالخفيات	129
العبي للجري في حامي قراره	المترفاتي	141
اليا لفيت ديار هاك السمية	سلامات	130
باج البلاد العامرة والخلية	العسيرات	130
بكرتي خبّي عساك الله مجارة	حفاتي	141
(تمد) من بيت علومه طرية	الثقيلات	130
حاكم وزير عارف كل شية	بصفات	130
حلو المثايل (والكفوف) السخية	الخسارات	130
دامل صافي عفاره بالصفاره	منقضاتي	141
سنّه ضحوك وجرعته باسلية	صعيبات	130

الشيخ موسى (اللي) علومه شفية	مزمنات	130
علوم البوادي وحضرها والرعية	العمارات	130
عينها عين أسمر حقق مطاره	النايفاتي	141
فوق السما ما بنشرت بعض الأحيان	خواجات	14
فوقه شداد والمبارك زهية	حليات	130
فوقه غلام ما يهاب الدوية	بعيدات	130
قل حرٍّ لفى من عندكم له نوية	غبارات	130
لعب رسمة يومها في البيض شارة	البناتي	141
ليث غضنفر ما يداني الردية	لعازات	130
ما جابت الخفرات مثله حليه	البداوات	130
مرباعها بأطراف نجد العذية	الذوبات	130
من بيت أبونواف ذيب السرية	الجمالات	130
وإن يسر المولى وزانت النية	مثمنات	130
وديار نجد والفروع الخلية	الحويطات	130
والردايف مثل شطٍّ في حواره	مهملاتي	141
والمناكب مثل ممطور الزبارة	مزبراتي	141
هذي أفعال اللي خصاله وفية	والمروات	130
يا راكب اللي بالسما تقل شيهان	المسارات	14
يا راكب من فوق حمراً ثنية	الشرارات	130
يا جين دغبي يا هنوف الحماده	وهداج	28
يا طيب قولك والقوافي تهاده	يفتاج	28
يا عين ريم جافله من زراجه	بنواج	25

يا ونتي ونة دوالب عجاجه	مزعاج	25
يا نديبي فوق زينات المحالي	هدية	79
عشية عشينا أدهم دبّ به الحيا	وعوره	120
وعشية بعكّاش ياطب	نحوره	120
وعشية عشّينا ضياع وضيعة	دروره	120
وعشيّة عشينا مصادات ونقا	قصوره	120
يوم ثار الثميدي هدم جداره	هكريه	14
حطوا عليها كورها وارخصوا لي	بالمطاريش	143
يا ضاق بالي قلت دنوا ذلولي	والقراميش	143
يا ونتي يوم بالخبر جاني	غاطيها	14
أبو نهيد في حشا الصدر مزموم	قوفه	140
تشعل بقلبي كما ضو (المريكاني)	يطفيها	14
حرش المناكب لأبرق الريش صيروم	كفوفه	140
كن اللوالو بين أشافيه منظوم	قنوفه	140
ما سامها الشراي بعداد مية	معفاة	130
هافي حشا كنه عن الزاد محروم	ردوفه	140
والزين في مقرن حجاجيه مرشوم	مضوفه	140
والعين عين اللي على رأس ملموم	علوفه	140
يا جاعل موت المخاليق محتوم	الهنوفه	141
البارحة كل أول الليل أقول آه	درى له	32
يوم ربي نصرهم زيّن أبصاره	رجليه	14
أيَّ العسل وأي حديثه لياذيب	المشاحيم	141

البخنق اللي تفصله طرقتيني	المناظيم	146
الحب طبه عسر	وديم	59
حلو كلام العذب زين التعاجيب	الخواتيم	141
نصّه القصر الخضر هاك الموالي	طميَّه	79
والحب مثلك قبر	رميم	59
ارم النعول لمغزل العين يا حسين	ليانه	32
البق والبرغوث قطّع لحمنا	مريحين	120
سلط على (النصراني) اللي لقا الزيت	عيونه	13
صناعته مخطين ملة إبراهيم	لونه	14
لولاه تحتاج المراجل شفاليت	دونه	13
يا جماعة كيف ما فيكم حميّا	ما تسمعونه	32

المصادر والمراجع

*** الكتــب:**

1. أخلاق الرولة وعاداتهم، أ. موزل، ترجمة وتعليق: د. محمد بن سليمان السديس، ط2، مكتبة التوبة، الرياض، 1417هـ/ 1997م.
2. أسماء بدو من وسط الجزيرة العربية، جوهن جاكوب هيس، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، 2010م.
3. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8 أجزاء، ط15، دار العلم للملايين/ بيروت 2002م.
4. انطباعات عن الشرق وشبه الجزيرة العربية: خيّال بولندي عند البدو (1817–1819م)، الكونت فاتسواف سيفيرين جفوسكي، ترجمه عن الفرنسية: د. هناء صبحي، مراجعة: كاظم جهاد، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، أبوظبي، 1434هـ/ 2013م.
5. البدو والبادية: صور من حياة البدو في بادية الشام، جبرائيل سليمان جبور، دار العلم للملايين، بيروت،1988م.
6. بدو وسط الجزيرة:عادات – تقاليد – حكايات وأغان، جوهن جاكوب هيس، ترجمة محمود كبيبو، مراجعة وتعليق: محمد سلطان العتيبي، دار الوراق للنشرالمحدودة، لندن، 2010م.
7. البدوي الأخير: القبائل البدوية في الصحراء العربية، مارسيل كوربرشوك، ترجمة: عبدالإله النعيمي، دار الساقي، بيروت، 2002م.
8. تاريخ جزيرة العرب،أندرو كرايتن، ترجمة: د. هادي عبدالله الطائي، تقديم ومراجعة: د. أحمد عبدالرحمن السقاف، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1436هـ/ 2015م.
9. تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية، آندرو كرايتون، ترجمة: عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1435هـ/ 2014م.
10. جون فيلبي والبلاد العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز بن سعود (1915–1953م)، صبري فالح الحمدي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 1434هـ/ 2013م.
11. حائل في كتابات الرحالة بلجريف، ترجمه وقدم له وعلق عليه: د.محمد بن عبدالله آل زلفة، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، 1433هـ/ 2012م.
12. حج إلى ربوع نجد: مهد قبائل العرب (1878–1879م)، آن بلنت، ترجمة وتعليق: د. أحمد

إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، أبوظبي ، 1434هـ/ 2013م.

13. حرب في الصحراء: مذكرات غلوب باشا، ترجمة: عطية الظفيري، راجعه: فارس غلوب، دار قرطاس للنشر، الكويت، 2011م.

14. حكايات من القبائل العربية: ألف ليلة وليلة من نمط خاص، سي. جي. كامبل، ترجمة عطية كريم الظفيري، مكتبة آفاق، الكويت، 1432هـ/ 2011م.

15. ديوان خالد الفرج، الجزء الأول والثاني، تقديم وتحقيق:خالد سعود الزيد، د.ن، مطابع القبس التجارية، الكويت، 1989م.

16. ديوان الشعر النبطي للجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، ألبرت سوسين، منشورات الجمل، كولونيا/ بغداد، 2007م.

17. الذهب الأسود والبخور: صور فوتوغرافية لجنوب شبه الجزيرة العربية التقطها أوائل المنقبين عن النفط 1947–1971م، مايكل كوينتن مورتون، وزارة شؤون الرئاسة: المركز الوطني للوثائق والبحوث، أبوظبي، 2011م.

18. الرحالة الأوروبيون في الجزيرة العربية د. روبن بدول، ترجمة: د. عبدالله آدم نصيف، د.ن، الرياض، 1409هـ/ 1989م.

19. الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية: منطقة حائل (1845–1921م)، عوض البادي، جزأين، نادي حائل الأدبي الثقافي، حائل، 1435هـ/ 2014م.

20. رحلات متعرجة في بلاد الإبل في اليمن وعمان والبحرين وساحل الإمارات العربية في أيام الشيخ زايد بن خليفة الكبير بين عامي 1891–1894م وعام 1901م، صموئيل م. زويمر، ترجمة وتعليق: د. أحمد إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1433هـ/ 2012م.

21. رحلة إلى الخليج العربي عبر مصر والبحر الأحمر، فكتور فونطانيي، ترجمة: محمد سعيد الخلادي، مراجعة: د. فريد الزاهي، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة:دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1433هـ/ 2013م.

22. رحلة إلى المدينة المنورة عبر قلب البادية (صحارى البر الداخلي)، دوروتيا فون لينكه (الكونتيسة مالمينياتي)، ترجمة: محمد سعيد مزهر، تحرير وتعليق: د. أحمد إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث: دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1432هـ/ 2011م.

23. رحلة إلى نجد، الليدي آن بلنت، ترجمة: محمد أنعم غالب، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1386هـ/ 1967م.

24. رحلة في الجزيرة العربية الوسطى (1878–1882م): الحماد، الشمر، القصيم، الحجاز، شارل هوبير، ترجمة: إليسار سعادة، دار كتب، بيروت، 2003م.

25. الطبيب البدوي: مغامرات ضابط ألماني في الشرق الأوسط، هربرت بريتسكه، ترجمة وتعليق: د. أحمد إيبش،سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث: دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1432هـ/ 2011م.

26. عاشق البادية الإنجليزي: المستشرق البروفيسور بروس إنغام (لهجات الجزيرة العربية، الاستشراق، البدو والشعر النبطي)، عطية بن كريم الظفيري، مكتبة آفاق، الكويت ، 1434هـ/ 2013م.

27. عبدالله فيلبي: قطعة من تاريخ العرب الحديث، خيري حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1961م.

28. عشائر بدو الفرات: رحلة بين البدو في الجزيرة الفراتية بسوريا عام 1878م، الليدي آن بلنت، ترجمة وتعليق: د. أحمد إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1434هـ/ 2013م.

29. عرب الصحراء، ديكسون، ط2، دار الفكر، دمشق ، 1419هـ/ 1998م.

30. العرب في ديارهم، بول و. هاريسون، ترجمة: د. محمد منير الأصبحي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1433هـ .

31. العربية السعودية، هاري سانت جون فيلبي، تعريب: عاطف فالح يوسف، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ/ 2002م.

32. فهرست الشعر النبطي، سعد العبدالله الصويان، مطبعة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية،1421هـ/ 2001م.

33. في الصحراء العربية: رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908–1914م، ألويز موزيل، تحرير: كاثرين مكغيفرت رايت، ترجمة: عبدالإله الملاح، تحرير وتعليق: د. أحمد إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث: دار الكتب الوطنية، أبوظبي ، 1431هـ/ 2010م.

34. فيلبي الجزيرة العربية، اليزابيث مونرو، ترجمة: أحمد عمر شاهين، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض،1425هـ .

35. قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أحمد أمين ، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2010م.

36. قصة فيلبي، حسن ساتي، دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014م.

38. مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 2002م.

39. المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت، د. مسعود سعيد عمشوش، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2012م.

40. معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، محمد بن ناصر العبودي، جزأين، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1426هـ/ 2005م.

41. مغامرات بين العرب: رحلات في الأردن وفلسطين بين 1899-1891م ورحلة إلى جوف السرحان عام 1900-1901م، آرتشيبولد فوردر، ترجمة: مارية عثمان، تحرير وتعليق: د. أحمد إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث:دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1432هـ/ 2011م.

42. مغامرة في جزيرة العرب عبر صحراء النفود بحثاً عن الوضيحي، دو غلاس كاروثرز، ترجمة ونعليق: د. أحمد إيبش، سلسلة رواد المشرق العربي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1433هـ/ 2012م.

43. موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ط4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م.

44. يوميات رحلة في الجزيرة العربية (1883-1884م)، المجلد الأول والثاني، شارل هوبر، ترجمه وعلق عليه: أ.د. عبدالقادر محمود عبدالله، تحقيق ومراجعة أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري وآخرين، جامعة تبوك، تبوك، 1435هـ/ 2014م .

*** الصحف والمجلات:**

جريدة أم القرى (السعودية)، جريدة الرياض (السعودية)، جريدة الجزيرة (السعودية)، جريدة اللواء (لبنان)، جريدة الشورى(مصر)، جريدة الفرات (سوريا)، مجلة اليمامة (السعودية)، وغيرها.

المؤلـف

قاسم بن خلف علي الرويس

كاتب وباحث سعودي

*** المؤلفات المنشورة:**

1. المسبار: نظرات في بعض كتب التاريخ والقبائل والأدب الشعبي، دار بيسان ،بيروت2009م
2. مسائل الجوار والحماية عند البادية في الجزيرة العربية ، دار ثقافة، أبوظبي 2009م
3. رشدي ملحس من نابلس إلى الرياض، جداول للنشر والتوزيع، بيروت 2011م.
4. من مصادر التاريخ السعودي الحديث:البلاغات الرسمية المنشورة في جريدة أم القرى: الجزء الأول: بلاغات حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها (1924ـ1932م)، جداول للنشر والتوزيع، بيروت 2011م.
5. من وثائق الدوادمي، إصدار خاص بمهرجان خريف الدوادمي الرابع، 1432هـ.
6. من مصادر التاريخ السعودي الحديث:البلاغات الرسمية المنشورة في جريدة أم القرى: الجزء الأول: بلاغات حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها (1924ـ1932م)، جداول للنشر والتوزيع، بيروت 2011م.
7. يوميات الدبدبة:أول مذكرات يومية في حروب الملك عبدالعزيز لتوحيد المملكة العربية السعودية، جداول للنشر والتوزيع، بيروت 2012م.
8. مخطوطة العسافي: ديوان شعر نبطي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت 2013م.
9. أخبار نجد من مجلة لغة العرب البغدادية من المجلد الأول إلى التاسع، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت 2014م.
10. سوانح أفكار لأمير البيان شكيب أرسلان مع موجز من سيرته، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت 2014م.
11. من أخبار الإمارات (1925ـ1931م)، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت 2014م.

12. ماذا في الكويت؟: أوراق من عشرينيات القرن العشرين الميلادي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت 2015م
13. شذرات من التاريخ السعودي، منشورات ضفاف، بيروت 2015م.
14. الشوريات: رصد شعر وشعراء جريدة الشورى، منشورات المجلة العربية(218)، الرياض2016م.
العنوان الإلكتروني G209@hotmail.com